

الفصل الأول

سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِيكٍ ﷺ لِقَتْلِ سَلَامَ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ

الأحد ٤ من ذي الحجة ٢٦/هـ ٢٦ أبريل (نيسان) ٦٢٧م / ١ يئنس ٣٤٣ قبطي

المبحث الأول

عَرْضُ سَرِيَّةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِيكٍ ﷺ لِقَتْلِ سَلَامَ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ

تاريخ السرية:

يقول د/ بريك: «وقد اختلف أهل المغازي في تاريخ هذا البعث اختلافاً كبيراً، فروى البخاري تعليقاً عن الزهري قال: «هو بعد كعب بن الأشرف»^(١)، أما ابن إسحاق الذي أخذ روايته عن الزهري، فحدد تاريخها بعد الخندق، وقريظة مباشرة [سيرة ابن هشام ٢/٢٧٣، ودلائل النبوة للبيهقي ٤/٣٣، وتابعه ابن عبد البر في الدرر ١٩٥، والعامري في البهجة ١/١٩٣]، وحددها الواقدي كعادته بدقة فقال: «خرجوا ليلة الاثنين في السَّحَرِ لأربع خلون من ذي الحجة على رأس ستة وأربعين شهراً، وغابوا عشرة أيام»، ولكنه يعقب في نهاية روايته «ويقال: كانت السرية في شهر رمضان سنة ست» [المغازي للواقدي ٣٩١-٣٩٥]، وهذا هو التاريخ الذي اعتمده كاتبه ابن سعد تاريخاً للسرية^(٢)، وذكرها الطبري في حوادث السنة الثالثة [ذكر ذلك الطبري بصيغة التمريض. ينظر: تاريخ الطبري ٢/٤٩٣]، ونقل المتأخرون من أهل المغازي أقوالاً في تاريخها متعددة لم ينسبوا لأحد، وحاول بعضهم الجمع بينها أو الترجيح^(٣). [السرايا والبعوث لبريك ١٧٤-١٧٥].

سبب السرية:

يقول الشيخ الغزالي: «لم تنته الخصومة بين المسلمين واليهود بانتهاء قريظة وانكسار شوكتها، فإن بعض مؤلفي الأحزاب على الإسلام قرأ إلى خيبر لا نذاً بحصونها مستظهِراً بإخوانه فيها، مثل أبي رافع بن

(١) فتح الباري لابن حجر ٧/٣٤٠-٣٤٢، وقد وصله يعقوب بن سفيان في تاريخه عن الزهري (قاله ابن حجر، ولم أجد ذلك في كتاب التاريخ المطبوع) ولم يكن مراد الزهري ﷺ أنها كانت بعد قتل كعب بن الأشرف مباشرة كما يتوهم من النص، وإن كان البعض ظن ذلك فوضع لها تاريخاً بعده مباشرة. ينظر: شرح المواهب للزرقاني ٢/١٦٥. السرايا والبعوث لبريك ١٧٤-١٧٥.

(٢) الطبقات لابن سعد ٢/٩١، وذكر القسطلاني أن ابن سعد ذكر في ترجمة عبد الله بن عتيك ﷺ أنه بعثه في ذي الحجة إلى أبي رافع ستة خمس بعد وقعة بني النضير. المواهب اللدنية للقسطلاني ١/١٢٢-١٢٣، وبالمبحث في طبقات ابن سعد المتداولة لم أعثر على ترجمة عبد الله بن عتيك ﷺ فيها، فربما اطلع القسطلاني على نسخة أخرى، والله أعلم. السرايا والبعوث لبريك ١٧٥.

(٣) ينظر: سنن البيهقي ٩/٧٨-٧٩، وإمتاع الأسباع للمقريزي ١/١٨٩، وفتح الباري لابن حجر ٧/٣٤٢، وسبل الهدى للشامي ٦/٧٦، وشرح المواهب للزرقاني ٢/١٦٥.

أبي الحقيق، وهو شريكٌ حييٌّ في التطواف بالقبائل التي يستجلبها إلى يشرب بغية الإتيان على الإسلام وأهله، وليس يؤمن لليهود شر ما بقيت لهم قدرة على فعله.

وقد صَوَّرَ حديث الرسول ﷺ نقمة اليهود على الإسلام بقوله: «مَا خَلَا يَهُودِيٌّ قَطُّ بِمُسْلِمٍ إِلَّا حَدَّثَ نَفْسَهُ [هَمْ] بِقِتْلِهِ»^(١)، ولا نعرف لهذه النعمة الدفينة علةً إلا انحراف أصحابها عن الجادة، ومن حق المسلمين أن يحذروها، وأن لا يدعوا لها بقية تنمو على الزمن.

لذلك خرج من المدينة خمسة من الخزرج ذاهبين إلى خير، بغيتهم القضاء على أبي رافع وإلقاء الذعر في قلوب شيعته، وقد أَمَرَ الرسول ﷺ عليهم عبد الله بن عتيك ﷺ، ونهاهم أن يقتلوا وليدًا أو امرأة.

[فقه السيرة للغزالي ٣٢٨-٣٢٩].

روى البيهقي بسنده عن عُرْوَةَ، قَالَ: وَكَانَ سَلَامٌ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ قَدْ أَجْلَبَ فِي غَطَفَانَ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ، يَدْعُوهُمْ إِلَى قِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَجْعَلُ لَهُمُ الْجُعْلَ الْعَظِيمَ، فَاجْتَمَعَتْ مَعَهُمْ غَطَفَانُ، وَحَيُّ بْنُ أَخْطَبَ بِمَكَّةَ قَدْ اسْتَعْوَى أَهْلَ مَكَّةَ، حَدَّثَهُمْ أَنَّ عَشِيرَتَهُمْ يَرَدُّوْنَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ، يَنْتَظِرُونَ الْمَدَدَ وَالْأَمْوَالَ، وَأَطَاعَتْ لَهُمْ غَطَفَانُ، وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى ابْنِ أَبِي الْحَقِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِيكَ بْنِ قَيْسِ بْنِ الْأَسْوَدِ، وَأَبَا قَتَادَةَ بْنِ رَبِيعٍ، وَأَسْوَدَ الْخَزَاعِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ ﷺ، فَيَسْتَوْهُ لَيْلًا فَيَقْتُلُوهُ. [دلائل النبوة للبيهقي ٣٨/٤].

ويقول أ/ باشميل: «كان سلام بن أبي الحقيق النضري - بعد مصرع طاغية بني النضير حيي ابن أخطب - سيد خير المطاع، وكان لا يقل عن حيي بن أخطب عداوة للرسول ﷺ.

بالإضافة إلى ذلك كان من كبار مجرمي الحرب الغادرة الظالمة التي شنها على المسلمين في المدينة - وبتدبير من يهود خير - عشرة آلاف مقاتل من الأحزاب الوثنية المتحالفة: قريش وغطفان وأشجع وفزارة وأسلم.

فقد كان سلام بن أبي الحقيق في مقدمة وفد التحريض اليهودي الذي غادر خير في أواسط السنة الرابعة من الهجرة ليطوف بمضارب البدو وفي نجد ومواطن القبائل في الحجاز لتحريضهم على غزوة المسلمين وتدميرهم في المدينة.

وعندما تحول المشروع اليهودي من نطاق الفكر إلى حيز العمل، وتحركت - لإبادة المسلمين في المدينة - تلك القوة الضاربة من أعراب نجد وقبائل قريش.. كان سلام بن أبي الحقيق هذا مع حيي بن أخطب على رأس هذه القوة الضاربة الغازية..

(١) ضعيف: رواه الديلمي والخطيب وابن النجار عن أبي هريرة ﷺ - ضعيف الجامع الصغير للألباني رقم ٥٠٦٢، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف ٣٦٢/١٠ رقم ١٩٣٧٦ بنحوه، ورغم ضعف سند الحديث إلا أنه أصبح حقيقة لا تُنكر في عالم الواقع!!

كما أن سلام بن أبي الحقيق النضري هذا كانت له سابقة خطيرة في الإجماع والتآمر في المدينة قبل إجلاء بني النضير عنها.

فقد كان سلام هذا أحد أركان تلك المؤامرة الدنيئة التي كانت تستهدف حياة النبي الأعظم ﷺ، والتي شرع يهود بني النضير في تنفيذها عندما كان النبي ﷺ موجوداً أعزلاً في ديارهم مع قلة من أصحابه جاؤوا إلى ديار بني النضير للبحث معهم في القيام ببعض التزامات تفرضها على اليهود معاهدة الحلف المعقود بين المسلمين وهؤلاء اليهود.

ولم يكن العفو الكريم الذي منحه النبي ﷺ ليهود بني النضير والذي شمل في الدرجة الأولى سلام بن أبي الحقيق، أحد أركان المؤامرة، لم يكن العفو الكريم ليغير شيئاً من طبيعة هذا اليهودي، طبيعة الأنانية والغدر والخيانة والتآمر والسعي للوصول - على أكتاف الغير - إلى الغرض المنشود بأية وسيلة مهما بلغت من الخسة والوضاعة، طبيعة اليهود في كل زمان ومكان.

فقد رأينا - كما تقدم - كيف أن سلام بن أبي الحقيق بالرغم من تلك المعاملة الكريمة التي عامل بها النبي ﷺ يهود بني النضير، رأينا كيف أن سلام هذا وعصابته، لم تكد أقدامهم تطأ مدينة خيبر، حتى شرعوا في حبك المؤامرة الخطيرة التي كانت ثمرتها تعريض النبي ﷺ وأصحابه لأعظم خطر شهدوه في حياتهم وهو غزوة الأحزاب، التي رافق قواتها الضاربة سلام ابن أبي الحقيق هذا وزميله في التآمر حي بن أخطب اللذان كانا يحملان بالعودة إلى المدينة، أما حي بن أخطب فقد لقي مصرعه في المدينة على أثر محاكمة يهود بني قريظة.

أما أبو رافع سلام بن أبي الحقيق فقد تمكن من الإفلات، فعاد إلى خيبر عقب انفضاض جيوش الأحزاب عن المدينة مهزومة مدحورة.

وقد رأت القيادة الإسلامية العليا في المدينة أن التخلص من هذا اليهودي سلام بن أبي الحقيق، الذي آلت إليه زعامة اليهود في خيبر بعد حيي بن أخطب - رأت أن التخلص من هذا اليهودي كمجرم حرب أمر لا بد منه.

لأن عداءه المستحكم للإسلام وحقده العارم المعتلم في نفسه على النبي ﷺ لن يتركا له فرصة يستريح فيها من عناء الكيد للإسلام والتأليب على المسلمين لإفنائهم حتى ولو أعطاهم ألف عهد ووقع معهم ألف ميثاق.

فمن المحتمل جداً - بما لدى هذا اليهودي المرابي من ثراء واسع، ولما يتمتع به من نفوذ اقتصادي كبير بين قبائل العرب الوثنية المعادية بطبعها للإسلام - أن يقوم مرة أخرى بتأليب هذه القبائل وتحريضها وأن يزين لها غزو يثرب من جديد، فيشعل على المسلمين نارا أخرى، كما أشعل - بالاشتراك مع حيي بن أخطب - نار حرب الأحزاب التي كاد فيها المسلمون أن يبادوا عن آخرهم.

بل إن حديث المؤرخين يشير إلى أن سلام بن أبي الحقيق هذا لم يكذب يضل خير - بعد فراره - حتى شرع في اتصالاته المشبوهة بزعماء القبائل الوثنية وخاصة قبائل غطفان، وأخذ يحرضها على المسلمين ويهيئها من جديد لشن حرب ثانية ضد المسلمين بقصد إبادةهم، الأمر الذي يجعل المسلمين - حفاظاً على سلامتهم وأمن أراضيتهم - أن يفكروا في التخلص سريعاً من هذه اليهودي العنيد المتآمر الذي لن يترك لهم فرصة يستريحون فيها ما بقي على قيد الحياة، وما قدر على فعل ما يعتقد أن فيه تدميرًا - أو إزعاجًا وإفلاقًا وترويعًا على الأقل - لهم؛ لأن من طبيعة اليهود عدم التردد في ارتكاب فعل الشر ما وجدوا السبيل إلى فعله، وما دام أن فعله يخدم غرضًا من أغراضهم الخبيثة أو يحقق هدفًا من أهدافهم الشريرة.

لذلك رأت القيادة الإسلامية العليا في المدينة القضاء على هذا الزعيم اليهودي بأسرع ما يمكن باعتباره مصدر خطر جسيم يهدد أمن وسلامة أمة بأكملها هي أمة الإسلام الوليدة في يثرب، وباعتباره غادرًا وخائنًا متآمرًا، لن يتورع - لإلحاق الضرر بالمسلمين - عن سلوك أي سبيل، في وقت فيه المسلمون أحوج ما يكونون إلى الهدوء والاستقرار لمواجهة ما يهددهم من أخطار لا تزال تُذررها تلمع في أفق نجد والحجاز، حيث تتحفر قبائل غطفان - في انتظار الفرصة - لضرب المسلمين في المدينة لسلبها ونهبها، ولإعادة الاعتبار الذي فقدته عندما عادت قوتها الضاربة مدحورة تجر أذيال الهزيمة في غزوة الأحزاب بعد حصار فاشل دام أكثر من أربعة أسابيع.

كما أن قريبًا من جانبها وكل قبائل الحجاز والوثنية تتحين الفرص للإغارة على المسلمين وكسر شوكتهم كأعداء عقائدين للوثنية التي هي دين تلك القبائل التي غضبت غضبًا شديدًا بسبب ظهور دعوة التوحيد التي جاء بها الإسلام لتقام أركانها على أنقاض هذه الوثنية. وبالجملة فقد كانت القيادة الإسلامية العليا في المدينة - بالرغم من إحساسها إحساسًا كاملاً بأنها من الناحية العسكرية أقوى مما كانت عليه قبل معركة الأحزاب - تشعر بأنها لا تزال محاطة بالأخطار من الشمال والشرق والجنوب.

بالإضافة إلى الخطر الداخلي الذي لا يزال الكيان الإسلامي الوليد يعاني منه الشيء الكبير، وهو خطر المنافقين الذين يتربصون - داخل المجتمع الإسلامي - بالإسلام والمسلمين الدوائر. ولعل أعظم خطر يحشاه المسلمون في تلك الفترة هو الخطر اليهودي الجاثم في خيبر على بعد مسافة لا تزيد على ٧٠ ميلًا من المدينة.

وهذا الخطر وإن لم يكن متمثلًا في قيام هؤلاء اليهود بغزو المدينة إذ أن ذلك بعيد الاحتمال، حيث إن القيام بالغزو ليس من طبيعة اليهودي طيلة وجودهم في جزيرة العرب، وإنما من طبيعتهم - كما وصفهم القرآن الكريم - القتال خلف جُدُر الحصون والقلاع والمستعمرات المحصنة. [جاء في القرآن الكريم إشارة إلى واقع هؤلاء اليهود: ﴿لَا يَقْبَلُونَكُمْ بِهِمْ إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: ١٤].

وإنما يتمثل هذا الخطر اليهودي - في الدرجة الأولى - في أن تعاود اليهود طبيعتهم في التحريض على المسلمين والسعي لحشد حشود جديدة هائلة من الأعراب ليقوموا بحرب خاطفة شاملة ضد المسلمين لحساب هؤلاء اليهود تحت تأثير الإغراء بالعطايا الجزيلة والرشاوى الكبيرة.

ولهذا كان لا بد للمسلمين من القيام بعمل حاسم يتسم بالثروع والتخويف، يكون فيه درس رادع لليهود وإنذار عملي بأن هؤلاء اليهود - وخاصة زعماءهم وكبار مجرميهم - لن يكونوا بمنأى عن تأديب المسلمين وإنزالهم العقاب الصارم بهم جزاء تأمرهم حتى ولو كانوا في بروج مشيدة وحصون محصنة.

ولم يكن هذا العمل الجريء المتسم بطابع المغامرة إلا قتل ملك اليهود وكبيرهم في قصره وعلى فراش نومه.

لأن ذلك يعطي اليهود فكرة مجسدة عن قدرة المسلمين على المغامرة وعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله.

وفي ذلك إذا ما نجح - دونما شك - تمزيق لأعصاب اليهود وجعلهم يتصورون أن المسلمين معهم أينما كانوا وأنهم قادرون على قتلهم متى شاؤوا، الأمر الذي ينسخ من أذهانهم فكرة السعي مرة أخرى لغزو المسلمين في المدينة، ويجعلهم فقط يحصرون همهم واهتمامهم في التحصن وحماية أنفسهم من هؤلاء المسلمين.

وهل هناك قوم يخيفون أكثر من الذين يتمكنون من قتل أكبر إنسان في قومه وهو في علياء حصنه وعلى فراشه بالسيف، بالرغم من كثرة الأبواب الموصدة دونه والأحراس المقامة عليه.

ذلك بعض ما هُدف إليه القدائيون الخمسة الذين اتجهوا من المدينة إلى خيبر خصيصاً لقتل سيدها اليهودي وكبير مجرميها وزعيم متآمرها على الإسلام والمسلمين سلام بن أبي الحقيق الملقب بأبي رافع.

[صلح الحديبية لباشمیل ٧٥-٨١].

ابن أبي الحقيق:

يقول د/ بريك: «أبو رافع عبد الله بن أبي الحقيق، أو سلام بن أبي الحقيق، اختلفت المصادر في ذلك، فمنها ما سماه عبد الله، ومنها ما سماه سلام، ومنهم من نسبته إلى أبيه دون ذكر اسمه، والبعض نسبته إلى كنيته فقط، ولكن الأكثر على أنه سلام بن أبي الحقيق.

كان من زعماء اليهود بني النضير الذين أجلاهم رسول الله ﷺ عن المدينة بعد نقضهم العهد والميثاق معه، فتوجه مع بقية زعماء بني النضير إلى خيبر، فدان لهم يهودها، ومع ذلك كانوا دائماً يتطلعون إلى الفرص السانحة للثأر من المسلمين والعودة مرة ثانية إلى المدينة، ورأوا أن هذا الهدف صعب المنال ما لم

يتم القضاء على قوة المسلمين المسيطرة في المدينة وما حولها، وأن ذلك لن يكون إلا بعمل ضخم منسق ضد المسلمين، فتقوة اليهود وحدها لا تكفي لذلك، ومن خير بدأوا اتصالات موسعة وسفارات متعددة كان الهدف منها تحزيب أكبر قوة ممكنة من العرب تغزو المسلمين في عقر دارهم وتستأصلهم، وقد تم تقسيم خطة العمل بين هؤلاء الزعماء لهذا الغرض، فكان سلام بن أبي الحقيق - كما يذكر عروة - له اليد الطولى في تحزيب قبائل غطفان النجدية الكبيرة وحلفائها من «مشركي العرب يدعوههم إلى قتال رسول الله ﷺ ويجعل لهم الجعل (ما تجعل للغازي إذا غزا عنك بجعل) العظيم». [من رواية ابن عائذ عن عروة. ابن حجر فتح ٣٤٣/٧، ومغازي ابن عائذ مفقودة كما ذكرنا، ولكن البيهقي رواه من طريقه إلى عروة. ينظر: الدلائل ٣٨/٤ كما روى ذلك ابن سعد عن جمع من شيوخه. الطبقات ٩١/٢. السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة لبريك ١٧٣].

ولما انقضى أمر الحندق وبني قريظة بعد أن انفض الأحزاب عن المدينة بغيتهم لم ينالوا خيراً، وقتل حُيي بن أخطب النضري شريك أبي رافع القوي في تحزيب الأحزاب - مع بني قريظة - فقال بذلك القصاص العادل الذي أفلت منه سلام بن أبي الحقيق حيث كان بعيداً في قومه في حصون خيبر، فأصبح بالنسبة للمسلمين مجرم حرب خطيراً هارباً لا بد من القضاء عليه حتى لا يقوم بتحركات مماثلة في المستقبل تهدد أمنهم وسلامتهم». [السرايا والبعوث حول المدينة ومكة لبريك ١٧٢-١٧٣].

التنافس بين الأوس والخزرج في عمل الخير

يقول د/ بريك: «وكانت الأنصار كما أشار أهل المغازي يتنافسون فيما بينهم تفانياً في خدمة رسول الله ﷺ: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين]، فلما أصابت الأوس كعب بن الأشرف بمبادرة بطولية من جانبهم، فحققوا بذلك سبقاً إسلامياً على منافسيهم من الخزرج الذين بدؤوا متحفزين للقيام بدور مماثل. [ينظر: المغازي النبوية للزهرى ١١٣، والمصنف لعبد الرزاق ٥/٤٠٧-٤٠٨، وسيرة ابن هشام ٣/٢٧٤، والمغازي للواقدي ١/٣٩١، والطبقات لابن سعد ٩١/٢، ودلائل النبوة للبيهقي ٣٣/٤].

فما أن ندب رسول الله ﷺ إلى ابن أبي الحقيق حتى سارعوا إلى التطوع للانخراط في هذه المهمة الشاقة على صعوبتها وما يحيط بها من أخطار، فالرجل بعيد عن قاعدة الإسلام: المدينة، وهو في منعة من قومه وحصونهم وحلفائهم من غطفان». [السرايا والبعوث حول المدينة ومكة لبريك ١٧٣-١٧٤].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَلَمَّا انْقَضَى شَأْنُ [أَمْرِ] الْحَنْدَقِ، وَأَمْرُ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَكَانَ سَلَامٌ بَنُ أَبِي الْحَقِيقِ، وَهُوَ أَبُو رَافِعٍ فِيمَنْ حَزَبَ (جمع) الْأَحْزَابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ الْأَوْسُ قَبْلَ أُحُدٍ قَدْ قَتَلَتْ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ، فِي عَدَاوَتِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَحْرِيطِهِ عَلَيْهِ، فَاسْتَأْذَنْتِ الْخَزْرَجُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي قَتْلِ سَلَامِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ وَهُوَ بِخَيْبَرَ، فَأَذِنَ لَهُمْ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: وَكَانَ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ بِهِ لِرَسُولِهِ ﷺ أَنْ هَذَيْنِ الْحَيَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ - وَالْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ - كَانَا يَتَصَاوَلَانِ

(يشاخران، إذا فعل أحدهما شيئاً فعل الآخر مثله) [في الإسلام] مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ (الفحل: الذكر من الإبل)، لَا تَصْنَعُ الْأَوْسُ شَيْئاً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَنَاءَ (منفعة) إِلَّا قَالَتْ الْخَزْرَجُ: وَاللَّهِ لَا تَذْهَبُونَ بِهِمْ فَضْلاً عَلَيْنَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَلَا يَنْتَهُونَ حَتَّى يُوقِعُوا مِثْلَهَا؛ وَإِذَا فَعَلْتَ الْخَزْرَجُ شَيْئاً قَالَتْ الْأَوْسُ مِثْلَ ذَلِكَ.

وَلَمَّا أَصَابَتْ الْأَوْسُ كَعْبَ بْنِ الْأَشْرَفِ فِي عِدَاوَتِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ الْخَزْرَجُ: وَاللَّهِ لَا تَذْهَبُونَ بِهَا فَضْلاً عَلَيْنَا أَبَداً [وَاللَّهِ لَا نَنْتَهِي حَتَّى نُجْزِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ الَّذِي أَجْرَأُوا عَنْهُ].

قَالَ: فَتَذَاكُرُوا: [فَتَذَاكُرُوا أَوْزَنَ رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ] مَنْ رَجُلٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْعِدَاوَةِ كَأَنَّ الْأَشْرَفَ؟ فَذَكَرُوا [سَلَامَ] ابْنَ أَبِي الْحَقِيقِ [الْأَعْوَرُ أَبَا رَافِعٍ]، وَهُوَ بَخِيرٌ، فَاسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي قَتْلِهِ فَأَذِنَ لَهُمْ. [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٧٣-٢٧٤، ورواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، مصنف عبد الرزاق ٥/ ٤٠٧ رقم ٩٧٤٧، وما بين المعكوفتين منه].

قائد وأفراد السرية:

يقول د/ بريك: «ومن أجل خطورة هذه المهمة تَخَيَّرَ رسول الله ﷺ رجالاً منهم فيهم بعض الشروط المناسبة لهذه المهمة الصعبة، فكان عبد الله بن عتيك ﷺ قائداً لهذه السرية، حيث تذكر بعض المصادر أنه كان يتقن العبرية بطلاقة - إضافة إلى صلته السابقة بأبي رافع^(١).

واهتمت روايات أهل المغازي بتسمية بقية أفراد السرية على خلاف بينها في بعضهم».

[السرايا والبعوث حول المدينة ومكة لبريك ١٧٤].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِ مِنَ الْخَزْرَجِ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ خَمْسَةٌ نَفَرٌ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ، وَمَسْعُودُ بْنُ سِتْنَانَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُتَيْسٍ، وَأَبُو قَتَادَةَ الْخَارِثِيُّ بْنُ رُبَيْعٍ، وَخُزَاعِيٌّ بْنُ أَسْوَدَ (في دلائل النبوة للبيهقي ٤/ ٣٤ «الْأَسْوَدُ بْنُ خُزَاعِيٍّ»، وكذلك في طبقات ابن سعد ٤/ ٤٠١ رقم ٧٠٩)، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ أَسْلَمَ، [وَرَجُلٌ آخَرُ يُقَالُ لَهُ فُلَانٌ بْنُ سَلَمَةَ]، فَخَرَجُوا، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَنْ يَقْتُلُوا وَلِيداً أَوْ امْرَأَةً.

[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٧٤، دلائل النبوة للبيهقي ٤/ ٣٤، المصنف لعبد الرزاق ٥/ ٤٠٨].

(١) ذكر ذلك الواقدي، وكاتبه ابن سعد رواية عن جمع من شيوخه، منهم الواقدي. وذكر خليفة أن أم عبد الله كانت بخير، ولكن الواقدي ذكر أنها أمه من الرضاعة.

ينظر: الطبقات لخليفة بن خياط ١٠٣، والمغازي للواقدي ١/ ٣٩١-٣٩٢، والطبقات ابن سعد ٢/ ٣٩٥. وربما يؤيد رواية الواقدي وابن سعد ما وقع في روايات الصحيح من أن عبد الله بن عتيك ﷺ حينما دخل على أبي رافع وضربه، ثم رجع إليه كلمه كهينة المغيث، وتكرر ذلك منه مراراً، ولا يمنع أن يكون الحديث بينها باللغة العربية التي يتقنها أبو رافع، ولكن ما عُرف من خبث اليهود وحذرهم الشديد وجبنهم يجعلنا نستأنس بهذه الروايات على ضعفها. والله أعلم. السرايا والبعوث لبريك ١٧٤.

قال الصالحى: وعند محمد بن عمر، ومحمد بن سعد: أسود بن خزاعي، حليف لهم من أسلم، زاد البراء بن عازب ۞ - كما في الصحيح - عبد الله بن عتبة - بضم العين المهملة وسكون الفوقية - فيكونون ستة، وزاد موسى بن عقبة والسهيلي أسعد بن حرام - بالراء - فيكونون سبعة.

[سبل الهدى والرشاد للصالحى ١٦٣/٦].

وصايا الرسول ۞ للسريّة:

يقول أ/ باشميل: «وبعد أن تهاى هؤلاء الفدائيون للتوجه إلى خيبر لإنفاذ مهمتهم الشاقة الخطيرة، زودهم النبي الأعظم ۞ بوصاياه الإنسانية النبيلة المعهودة التي يوصي بمثلها (دائماً) كل من يريد الإقدام على أي عمل حربي.. أوصاهم بأن لا يقتلوا وليدًا ولا يعتدوا على امرأة». [صلح الحديبية لباشميل ٨٢].

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ عَمِّهِ، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ۞، لَمَّا بَعَثَهُ إِلَى ابْنِ أَبِي الْحَقِيقِ «نَهَاةً عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ».

[المصنف لابن أبي شيبة ٥٧١-٥٧٢ / ١٧ كتاب السير باب من ينهى عن قتله في دار الحرب رقم ٣٣٧٨٧، والسنن الكبرى للبيهقي ١٣١/٩ كتاب جماع أبواب السير باب النهي عن قصد النساء والولدان بالقتل رقم ١٨٠٨٦].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ۞ «نَهَى النَّفَرَ الَّذِينَ بُعِثُوا إِلَى ابْنِ أَبِي الْحَقِيقِ بِخَيْبَرَ لِيَقْتُلُوهُ، فَنَهَاهُمْ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ».

[مصنف ابن أبي شيبة ٤٤٧-٤٤٨ / ٢٠ كتاب المغازي باب غزوة خيبر رقم ٣٨٠٥٣].

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ، أَنَّهُ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ۞ الَّذِينَ قَتَلُوا ابْنَ أَبِي الْحَقِيقِ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ».

قَالَ: فَكَانَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَقُولُ: بَرَحْتُ بِنَا امْرَأَةً ابْنِ أَبِي الْحَقِيقِ بِالصَّيْحَاحِ، فَأَرْفَعُ السَّيْفَ عَلَيْهَا، ثُمَّ أَذْكَرُ نَهْيَ رَسُولِ اللَّهِ ۞ فَأَكْفُفُ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ اسْتَرْحَنَّا مِنْهَا.

[موطأ مالك كتاب الجهاد باب النهي عن قتل النساء والولدان في الغزور رقم ٩٧٤].

يقول أ/ باشميل: «وبعد أن تزود هؤلاء الفدائيون الخمسة بتلك الوصايا الإنسانية النبوية السياسية التي لا تزال قاعدة يتبعها العالم المتمدن في الحروب العادلة تحركوا من المدينة نحو منطقة خيبر.

الفدائيون في خيبر:

ولم تكن إلا عدة أيام حتى كان الفدائيون الخمسة في مدينة خيبر.

لقد كان دخول العرب إلى منطقة خيبر غير مستنكر لا سيما وأن أهلها - وخاصة أبا رافع المطلوب القضاء عليه - مرابون يقرضون الأعراب قروضاً ربوية تقوم عليها تجارة هؤلاء اليهود في خيبر بل في جميع أنحاء جزيرة العرب، فالربا صفة تجارية ملازمة لليهود أينما حلوا.

تخفي الفدائيين بالنهار:

ولقد كان بإمكان عبد الله بن عتيك وفصيلته من الفدائيين أن يتجولوا في مدينة خيبر، بل وأن يدخلوا إلى حصونها ويتحدثوا إلى أهلها بحرية تامة وفي أي وقت أرادوا كما يفعل غيرهم من الأعراب المجاورين لخيبر وغير المجاورين الذين يعرفهم يهود خيبر أو لا يعرفونهم؛ لأن اكتظاظ خيبر دائماً بالأعراب شيء مألوف، لأنها سوقهم الرئيسة التي يتعاون منها حاجاتهم الضرورية من المواد الغذائية كالتمر والبر والشعير والذرة وغير ذلك، إذ أن خيبر تعتبر من أعظم تلك المناطق إنتاجاً للحبوب والتمور؛ ولذلك يسميها العرب آن ذاك (ريف الحجاز)، غير أن الذي حال بين الفدائيين الخمسة وبين التجوال في مدينة خيبر والظهور فيها نهراً، واضطرهم إلى الاختفاء بالنهار والتحرك بالليل فقط، وتحاشي التحدث إلى أن يهودي أو الاجتماع به، هو أن جميع يهود بني النضير نساءً ورجالاً والذين أصبحوا من سكان مدينة خيبر يعرفون هؤلاء الفدائيين الخمسة فرداً فرداً، وحتى أصواتهم سيعرفونهم بها لأنهم منذ خلقوا وهم يعيشون معهم في المدينة، ولم يمض على خروج يهود بني النضير من المدينة إلى خيبر إلا بضعة عشر شهراً، ولو عرف يهود خيبر هؤلاء الفدائيين لاكتشفوا أمرهم ولألقوا عليهم القبض وقتلواهم في الحال. لأنهم يعتبرون أنفسهم في حالة حرب مع المسلمين، ولأنهم سيذكرون أن هؤلاء الفدائيين - وهم أعداء ألداء لليهود - إما أن يكونوا جواسيس، وإما أن يكونوا جاؤوا لقتل أحد من سادات اليهود.

اللغة العبرية:

غير أن هناك أمراً ساعد قائد فصيلة الفدائيين على تخطي بعض هذه الصعاب الشديدة وهو أنه كان يجيد اللغة العبرية - لغة دينهم - كأهلها، وكانت هذه اللغة بالنسبة للسواد الأعظم من يهود الجزيرة تعتبر لغة ثانوية إلى جانب اللغة العبرية التي يجيدها السواد الأعظم من اليهود أكثر مما يجيدون اللغة العبرية - لغة دينهم - والتي لا يجيدها إلا الأخبار والزعماء والقادة.

ولقد ساعد إلمام عبد الله بن عتيك ﷺ باللغة العبرية على تيسير مهمته، حيث يسر له الاختلاط ببعض يهود خيبر، ويحتمل أنه عن طريق مخاطبتهم باللغة العبرية حصل على أهم المعلومات الهامة التي يتوقف تنفيذ خطة قتل أبي رافع على الحصول عليها.

الخطة والتنفيذ:

بعد الحصول على المعلومات الهامة التي يظهر أن الحصول عليها استغرق عدة أيام، شرع الفدائيون الخمسة في رسم الخطة للقضاء على رأس الغدر والخيانة والتآمر أبي رافع سلام بن أبي الحقيق، حسب أوامر القيادة العليا في المدينة.

وكانت الخطة تتلخص فيما يلي حسب وصف جمهرة المؤرخين:

- ١- على الفدائيين الخمسة أن يتسللوا ليلاً إلى داخل الحصن بطريقة يتم الاتفاق عليها.
 - ٢- عند نجاحهم في الدخول إلى الحصن عليهم أن يستولوا على مقاليد أبواب الحصن التي كان قائد الفدائيين قد عرف أين توضع بعد قفل الأبواب.
 - ٣- بعد ذلك، عليهم الاختفاء في أماكن الدواب حتى يمضي من الليل أكثره فيسكن الناس ويتنام الحراس، وينصرف من مجلس أبي رافع سُمَّاهُ الذين يسامرونه من الزعماء كل ليلة.
 - ٤- في النصف الثاني من الليل، على الفدائيين أن يتحركوا في غلس الظلام نحو الممرات والدهاليز التي تؤدي إلى غرفة نوم أبي رافع، على أن يكون ذلك بحذر شديد وبقطة متناهية.
 - ٥- عند اجتياز كل باب من أبواب دهايز وممرات الحصن عليهم أن يقفلوا هذه الأبواب من الداخل على أنفسهم ويأخذوا المفاتيح بأيديهم.
 - ٦- بما أن تحركهم في الممرات نحو غرفة الطاغية سيكون آخر الليل حيث يكون جميع الحرس قد ناموا، فإن عليهم أن يقفلوا من الخارج باب كل غرفة (في حذر) على من فيها من الحرس والخدم، ويأخذوا الأقاليد (المفاتيح) معهم بعد القيام بكل هذه العمليات التي كان تنفيذها يكاد يكون من المستحيلات؛ لأنها من الصعوبة بمكان عظيم في زمن يشعر فيه اليهود بأنهم معرَّضون لأي خطر من قبل المسلمين الذين هم معهم في حالة حرب.
 - ٧- بعد قيام الفدائيين بهذه العمليات الصعبة التنفيذ، عليهم أن يتجهوا بأسلحتهم المخفية داخل ثيابهم نحو غرفة الطاغية أبي رافع سلام بن أبي الحقيق، التي عرفها قائد الفدائيين بالتحديد لدى قيامه بالتحري، وذلك لتنفيذ المرحلة الأخيرة من الخطة وهي قتل الطاغية.
 - ٨- اتفقوا على أن يقتحموا غرفة الطاغية وهو على فراش نومه، ولدى اقتحام الغرفة ليس من حق أي من الفدائيين التحدث إلى كائن من كان، إلا قائد الفدائيين ابن عتيك ﷺ، فإن من حقه أن يتكلم بما تلييه الضرورة؛ لأنه الوحيد الذي يجيد اللغة العبرية والتي يمكنه عن طريقها التموه على اليهود إذا ما اكتشف أمره وأمر فصيلته.
 - ٩- عليهم ألا يهيجوا أحداً من يهود الحصن، وأن لا يقتلوا أحداً إلا في حالة الدفاع عن النفس؛ لأن ذلك يفسد عليهم خطتهم ولأنهم لم يؤمروا إلا بقتل الطاغية أبي رافع فقط.
 - ١٠- وكما هي أوامر النبي ﷺ عليهم أن لا يقتلوا امرأة أبي رافع التي أدخلوا في حسابهم أثناء وضع الخطة وجودها في حجرته وقيامها بمدفعتهم أو الصياح، وكل ما يجوز لهم فعله في حالة وجودها تهديدها أو تكميم فمها عند الفتك بأبي رافع، إذا اقتضت الضرورة ذلك.
- هذه هي الخطوط العريضة للخطة التي رسمها الفدائيون الخمسة للتخلص من رأس الغدر والخيانة والتآمر أبي رافع.

لقد رسم الفدائيون هذه الخطة الجريئة، وعندما رسموها لم يفكروا كيف يمكنهم العودة من قمة الحصن الذي بنام في عليته أبو رافع وكيف يمكنهم المرور بالدهاليز والممرات الطويلة والحجر المنتشرة على جوانبها والتي لن يصلوا إليها إلا وقد وصل خبر اغتيال الطاغية إلى باقي اليهود، نعم لم يفكروا في العودة، لأن هدفهم هو تنفيذ أوامر قائدهم الأعلى النبي ﷺ، وإذا تم تنفيذ الأمر فلا يهمهم بعد ذلك كيف تحيى نتائج هذا التنفيذ». [صلح الحديدية لباشميل ٨٢-٨٧].

تفاصيل مقتل طاغية اليهود:

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ۞ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَهْطًا مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى أَبِي رَافِعٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ ۞ يَبْتِغِي لَيْلًا، وَهُوَ نَائِمٌ، فَتَنَلَّهُ. [البخاري في الجهاد (٣٠٢٣)، وفي المغازي (٤٠٣٨)].

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ۞ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَهْطًا مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى أَبِي رَافِعٍ لِيَقْتُلُوهُ، فَانْطَلَقَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَدَخَلَ حِصْنَهُمْ، قَالَ: فَدَخَلْتُ فِي مَرِيضٍ دَوَابَّ هُمْ، قَالَ: وَأَغْلَقُوا بَابَ الْحِصْنِ، ثُمَّ إِتَمَّ فَقَدُوا حِمَارًا هُمْ، فَخَرَجُوا يَطْلُبُونَهُ، فَخَرَجْتُ فِيمَنْ خَرَجَ أُرَيْهِمْ أَنَّنِي أَطْلُبُهُ مَعَهُمْ، فَوَجَدُوا الْحِمَارَ، فَدَخَلُوا وَدَخَلْتُ، وَأَغْلَقُوا بَابَ الْحِصْنِ لَيْلًا، فَوَضَعُوا الْمِفَاتِيحَ فِي كُوَّةٍ (يفتح الكاف وبضم، والكوة: الخرق في الخائط، وقيل بالفتح غير النافذة، وبالضم النافذة. ابن حجر، فتح (٣٤٣/٧)، والقاموس، مادة (كوه). السرايا والبغوت لبريك (١٧٦) حَيْثُ أَرَاهَا، فَلَمَّا نَامُوا أَخَذْتُ الْمِفَاتِيحَ، فَفَتَحْتُ بَابَ الْحِصْنِ، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ! فَأَجَابَنِي، فَتَعَمَّدْتُ الصَّوْتِ، فَضَرَبْتُهُ فَصَاحَ، فَخَرَجْتُ ثُمَّ جِئْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ كَأَنِّي مُعِيثٌ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ، وَغَيَّرْتُ صَوْتِي، فَقَالَ: مَا لَكَ لَأُمِّكَ الْوَيْلُ، قُلْتُ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: لَا أَذْهَبُ مِنْ دَخَلُ عَلَيَّ فَضَرَبَنِي، قَالَ: فَوَضَعْتُ سَيْفِي فِي بَطْنِهِ، ثُمَّ تَحَامَلْتُ عَلَيْهِ حَتَّى قَرَعَ الْعَظْمَ، ثُمَّ خَرَجْتُ وَأَنَا دَهْشُ، فَأَتَيْتُ سُلَمًا هُمْ لَا نَزْلَ مِنْهُ، فَوَقَعْتُ فَوُتِنْتُ (أصابها وهن لا يبلغ الكسر) رِجْلِي، فَخَرَجْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِبَارِحٍ حَتَّى أَسْمَعَ النَّاعِيَةَ، فَمَا بَرِحْتُ حَتَّى سَمِعْتُ نَعَايَا أَبِي رَافِعٍ تَاجِرِ أَهْلِ الْحِجَازِ (بكسر الحاء المهملة: مكة والمدينة واليامة ومخالفها قاله الإمام الشافعي، وقال غيره: ما بين نجد والسرقة، وقال الكلبي: ما حجز بين اليامة والعروض، وما بين نجد والسرقة. سبل الهدى والرشاد ١٦٩/٦)، قَالَ: فَقُمْتُ وَمَا بِي قَلْبُهُ (القلبة: العلة، أو الداء والتعب، والمعنى أنه كان يمشي ولم يكن به ألم)، حَتَّى أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْنَاهُ. [البخاري في الجهاد (٣٠٢٢)].

وَعَنِ الْبَرَاءِ ۞ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي رَافِعٍ الْيَهُودِيَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ ۞، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَيُعِينُ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الْحِجَازِ، فَلَمَّا دَبَّوْا مِنْهُ، وَقَدْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَرَاحَ النَّاسُ بِسَرَحِهِمْ (المال السائم الراعي وسرحت الماشية، أي: أخرجتها بالغداة إلى المرعى)، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: اجْلِسُوا مَكَانَكُمْ، فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ، وَمُتَطَلِّفٌ لِلْبُؤَابِ، لَعَلِّي أُنْ أَدْخُلُ، فَأَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنَ الْبَابِ ثُمَّ تَفَقَّعَ بَنُوهُ كَأَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً (أي: يتبول أو يتبرز، وكان الناس في ذلك

العهد تعودوا على قضاء حوائجهم خارج بيوتهم، وقد حققت له هذه الحيلة على بساطتها ما كان يهدف إليه حيث ظن البواب أنه من أهل الحصن يقضي حاجته خارجه، فهتف به للدخول غير شاك به. السرايا والبعوث لبريك (١٧٦)، وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ، فَهَتَفَ بِهِ الْبَوَابُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ (لم يُرد اسمه العلم لأنه لو كان كذلك لكان قد عرفه، فالذي يظهر أنه أراد معناه الحقيقي؛ لأن الجميع عبيد الله. فتح الباري لابن حجر ٣/ ٧)، إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ فَأَدْخُلْ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ الْبَابَ، فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ أَغْلَقَ الْبَابَ، ثُمَّ عَلِقَ الْأَغَالِيقَ (جمع غلق، وهو المفتاح، وكذلك الأقاليد جمع إقليد) عَلَى وَتَيْدِ.

قَالَ: فَقُمْتُ إِلَى الْأَقَالِيدِ، فَأَخَذْتُهَا، فَفَتَحْتُ الْبَابَ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُسَمِّرُ عِنْدَهُ، وَكَانَ فِي عِلَالِي (جمع عِلْيَةٍ، أي الغرفة) لَهُ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِهِ صَعِدْتُ إِلَيْهِ، فَجَعَلْتُ كُلَّمَا فَتَحْتُ بَابًا أَغْلَقْتُ عَلَيَّ مِنْ دَاخِلٍ، قُلْتُ: إِنْ الْقَوْمُ نَزَرُوا فِي لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيَّ حَتَّى أَقْتُلَهُ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسُطَّ عِيَالِهِ، لَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنَ الْبَيْتِ فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ، فَأَضْرَبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ، وَأَنَا دَهْشُ فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا، وَصَاحَ فَخَرَجْتُ مِنَ الْبَيْتِ، فَأَمْكُثُ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ؟ فَقَالَ: لِأَمْكِ الْوَيْلُ، إِنَّ رَجُلًا فِي الْبَيْتِ ضَرَبَنِي قَبْلَ بِالسَّيْفِ، قَالَ: فَأَضْرَبُهُ ضَرْبَةً أَثَخَنَتْهُ وَلَمْ أَقْتُلَهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ طَبْعِي فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَخَذَ فِي ظَهْرِهِ، فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ.

فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الْأَبْوَابَ بَابًا بِابًا حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى دَرَجَةٍ لَهُ، فَوَضَعْتُ رِجْلِي وَأَنَا أَرَى أَنِّي قَدْ انْتَهَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ فَوَقَعْتُ فِي لَيْلَةٍ مُقَمَّرَةٍ، فَانْكَسَرَتْ سَاقِي، فَعَصَبْتُهَا بِعِمَامَةٍ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عَلَى الْبَابِ، فَقُلْتُ: لَا أَخْرُجُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَعْلَمَ أَقْتُلُهُ؟ فَلَمَّا صَاحَ الدِّيْكَ قَامَ النَّاعِي عَلَى السُّورِ، فَقَالَ: أُنْعَى أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلِ الْحِجَازِ، فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَقُلْتُ: النَّجَاءُ، فَقَدْ قَتَلَ اللَّهُ أَبَا رَافِعٍ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: «ابْسُطْ رِجْلَكَ»، فَبَسَطْتُ رِجْلِي، فَمَسَحَهَا، فَكَأَنَّمَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ. [البخاري في المغازي (٤٠٣٩)].

وَعَنِ الْبَرَاءِ ﷺ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي رَافِعٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَتِيكَ، وَعَبَدَ اللَّهُ بْنُ عَتَبَةَ فِي نَاسٍ مَعَهُمْ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى دَنَوْا مِنَ الْحِصْنِ، فَقَالَ هُمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ: أَمَكُّثُوا أَنْتُمْ حَتَّى انْطَلِقَ أَنَا فَانْظُرْ، قَالَ: فَتَلَطَّطْتُ أَنْ أَدْخُلَ الْحِصْنَ، فَفَقِلُّوا جِهَارًا هُمْ، قَالَ: فَخَرَجُوا بِقَبْسٍ يَطْلُبُونَهُ، قَالَ: فَخَشِيتُ أَنْ أُعْرِفَ، قَالَ: فَغَطَّيْتُ رَأْسِي كَأَنِّي أَقْضِي حَاجَةً، ثُمَّ نَادَى صَاحِبُ الْبَابِ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ فَلْيَدْخُلْ قَبْلَ أَنْ أُغْلِقَهُ، فَدَخَلْتُ ثُمَّ اخْتَبَأْتُ فِي مَرَبِطٍ جِهَارٍ عِنْدَ بَابِ الْحِصْنِ (كأنه كان للمحصن بابان، باب من داخل، وآخر من خارج. السرايا والبعوث لبريك (١٧٦)، فَتَعَشَّوْا عِنْدَ أَبِي رَافِعٍ وَتَحَدَّثُوا حَتَّى ذَهَبَتْ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى بِيوتِهِمْ، فَلَمَّا هَدَأَتِ الْأَصْوَاتُ وَلَا أَسْمَعُ حَرَكَةً خَرَجْتُ، قَالَ: وَرَأَيْتُ صَاحِبَ الْبَابِ حَيْثُ وَضَعَ مِفْتَاحَ الْحِصْنِ، فِي كَوَّةٍ فَأَخَذْتُهُ فَفَتَحْتُ بِهِ بَابَ الْحِصْنِ، قَالَ: قُلْتُ: إِنْ نَزَرِ الْقَوْمُ انْطَلَقْتُ عَلَى مَهْلٍ، ثُمَّ عَمَدْتُ إِلَى أَبْوَابِ بِيوتِهِمْ، فَغَلَقْتُهَا عَلَيْهِمْ مِنْ ظَاهِرٍ، ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى أَبِي رَافِعٍ فِي سَلَمٍ، فَإِذَا الْبَيْتُ مُظْلِمٌ قَدْ طَمِعَ

سِرَاجُهُ، فَلَمْ أَدْرِ أَيْنَ الرَّجُلِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ! قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: فَعَمَدْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ، وَصَاحَ فَلَمْ تُعْنِ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ كَأَنِّي أُغِيثُهُ، فَقُلْتُ: مَا لَكَ يَا أَبَا رَافِعٍ! وَغَبِرْتُ صَوْتِي، فَقَالَ: أَلَا أُعْجِبُكَ لَأَمَّاكَ الْوَيْلُ، دَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ فَضَرَبَنِي بِالسَّيْفِ، قَالَ: فَعَمَدْتُ لَهُ أَيْضًا فَأَضْرِبُهُ أُخْرَى، فَلَمْ تُعْنِ شَيْئًا، فَصَاحَ وَقَامَ أَهْلُهُ، قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ وَغَبِرْتُ صَوْتِي كَهَيْئَةِ الْمُغِيثِ، فَإِذَا هُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى ظَهْرِهِ، فَأَضَعَ السَّيْفَ فِي بَطْنِهِ ثُمَّ أَتَيْتُ عَلَيْهِ حَتَّى سَمِعْتُ صَوْتَ الْعَظْمِ، ثُمَّ خَرَجْتُ دَهْشًا حَتَّى أَتَيْتُ السُّلَمَ أُرِيدُ أَنْ أَنْزِلَ، فَأَسْقَطَ مِنْهُ فَأَنخَلَعْتُ رِجْلِي فَعَصَبْتُهَا، ثُمَّ أَتَيْتُ أَصْحَابِي أَحْجُلُ، فَقُلْتُ: انْطَلِقُوا فَبَشِّرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَإِنِّي لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَسْمَعَ النَّاعِيَةَ، فَلَمَّا كَانَ فِي وَجْهِ الصُّبْحِ صَعِدَ النَّاعِيَةُ فَقَالَ: أُنْعَى أَبَا رَافِعٍ، قَالَ: فَتَمَتَّ أَمْسِي مَا بِي قَلْبَةً، فَأَذْرَكْتُ أَصْحَابِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُوا النَّبِيَّ ﷺ فَبَشَّرْتُهُ. [البخاري في المغازي (٤٠: ٤٠)].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُتَيْسٍ ﷺ قَالَ: «بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا قَتَادَةَ، وَحَلِيفًا لَهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ، إِلَى ابْنِ أَبِي الْحَقِيقِ لِنَقْلِهِ، فَخَرَجْنَا [فَجِئْنَا خَيْرَ] لَيْلًا، فَتَبَعْنَا أَبْوَابَهُمْ، فَعَلَقْنَاهَا عَلَيْهِمْ مِنْ خَارِجِ ثُمَّ جَعَلْنَا الْمَفَاتِيحَ [فَأَرْقَيْنَاهَا]، فَأَصْعَدَ [فَصَعِدَ] الْقَوْمُ فِي النَّحْلِ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ مِنْ [فِي] دَرَجَةِ ابْنِ أَبِي الْحَقِيقِ، فَتَكَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي الْحَقِيقِ: ثَكَلْتُكَ أُمُّكَ عَبْدُ اللَّهِ، أَنَّى لَكَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ [الْبَلَدِ]؟ قَوْمِي فَأَفْتَحِي لَهُ، فَإِنَّ الْكَرِيمَ لَا يُرَدُّ عَنْ بَابِهِ هَذِهِ السَّاعَةَ، فَقَامَتْ، فَقُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِيكَ: دُونَكَ، فَشَهِرَ [فَأَشْهَرَ] عَلَيْهِ [عَلَيْهِمْ] السَّيْفَ، فَذَهَبَتْ أَمْرَاتُهُ لِتَصْبِيحٍ، فَأَشْهَرَ عَلَيْهَا السَّيْفَ، فَأَذْرَكَهُ [وَأَذْكُرُ] قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ «مَهَى عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ»، فَأَكْفَ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُتَيْسٍ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فِي مَشْرِيهِ [مَشْرِيَةٍ] لَهُ، فَوَقَفْتُ أَنْظُرَ إِلَى سِدَّةٍ بَيَاضِهِ فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ [الْبَيْتِ]، فَلَمَّا رَأَيْتُ أَحَدَ وَسَادَةٍ فَاسْتَرَّ بِهَا، فَذَهَبَتْ أَرْفَعَ السَّيْفَ لِأَضْرِبَهُ، فَلَمْ أَسْتَطِعْ مِنْ قَصْرِ الْبَيْتِ فَوَخَزْتُهُ وَخَزًا، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَقَالَ صَاحِبِي: فَعَلْتَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَدَخَلَ فَوَقَفَ عَلَيْهِ، ثُمَّ خَرَجْنَا فَأَنْحَدَرْنَا مِنَ الدَّرَجَةِ، فَسَقَطَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ مِنْ [فِي] الدَّرَجَةِ فَقَالَ: وَارِجُلَاهُ، كُسِرَتْ رِجْلِي، فَقُلْتُ [لَهُ]: لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ [بِرَجْلِكَ] بَأْسٌ، وَوَضَعْتُ قَوْسِي فَأَحْتَمَلْتُهُ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ قَصِيرًا ضَبِيلًا، فَأَنْزَلْتُهُ فَإِذَا رِجْلُهُ لَا بَأْسَ بِهَا، فَأَنْطَلَقْنَا حَتَّى لَحِقْنَا أَصْحَابَنَا، وَصَاحَتِ الْمَرْأَةُ: وَابْيَاتَاهُ، فَيُثَوِّرُ أَهْلَ خَيْرٍ لِقَتْلِهِ، فَذَكَرْتُ مَوْضِعَ قَوْسِي فِي الدَّرَجَةِ، فَقُلْتُ: [وَاللَّهِ لَا أَرْجِعُنَّ] لَا أَرْجِعُ حَتَّى أَخَذَ [فَلَا أَخْذُنَّ] قَوْسِي، [فَقَالَ أَصْحَابِي: قَدْ تَثَوَّرَ أَهْلُ خَيْرٍ، تَقْتُلُ؟] فَقُلْتُ: لَا أَرْجِعُ أَنَا حَتَّى أَخَذَ قَوْسِي، [فَرَجَعْتُ فَإِذَا أَهْلُ خَيْرٍ قَدْ تَوَرَّوْا [تَوَرَّوْا]، وَإِذَا مَا هُمْ كَلَامٌ إِلَّا: مَنْ قَتَلَ ابْنَ أَبِي الْحَقِيقِ؟ فَجَعَلْتُ لَا أَنْظُرُ فِي وَجْهِ إِنْسَانٍ وَلَا يَنْظُرُ فِي وَجْهِ، إِلَّا قُلْتُ كَمَا يَقُولُ: مَنْ قَتَلَ ابْنَ أَبِي الْحَقِيقِ؟ حَتَّى جِئْتُ الدَّرَجَةَ، فَصَعِدْتُ مَعَ النَّاسِ، فَأَخَذْتُ قَوْسِي، ثُمَّ لَحِقْتُ بِأَصْحَابِي، فَكُنَّا نَسِيرُ بِاللَّيْلِ، وَنَكْمُنُ بِالنَّهَارِ، فَإِذَا كَمِينَا النَّهَارَ أَقْعَدْنَا نَاطُورًا يَنْظُرُ لَنَا [يَنْظُرُنَا] حَتَّى إِذَا اقْتَرَبْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَكُنَّا بِالْبَيْدَاءِ، كُنْتُ أَنَا نَاطُورُهُمْ [نَاطِرُهُمْ]، ثُمَّ إِنِّي أَحَلْتُ هُمْ بِثَوْبِي فَأَنْحَدَرُوا، فَخَرَجُوا جَمْرًا،

وأنحدرت أنا في آثارهم، فأدركتهم حتى بلغنا المدينة، فقال لي أصحابي: هل رأيت شيئاً؟ فقلت: لا، ولكن رأيت ما أذكركم من العناء، فأحببت أن يحملكم الفرع، وأتينا رسول الله ﷺ وهو يحطّب بالناس، فقال ﷺ: «أفلحت الوجوه»، فقلنا: أفلح وجهك يا رسول الله، قال: «أقتلتموه؟» قلنا: نعم، فدعا بالسيف الذي قتل به، فقال: «هذا طعامه في ظبات [ضباب، ذباب] السيف».

[مجمع الزوائد ٦/ ٢٩٢-٢٩٣ في المغازي والسير (١٠٣٣٤)، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى [مسند أبي يعلى ٢/ ٢٠٤] رقم ٩٠٧، وقال الشيخ أسد: إسناده ضعيف، وفيه إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع وهو ضعيف، والمطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني ١٧/ ٤٣٧ كتاب السيرة والمغازي باب قصة قتل ابن أبي الحقيق رقم ٤٢٩١].
وعن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه: أن الرهط الذين بعثهم رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي الحقيق ليقتلوه: عبد الله بن عتيك، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة، وحليفهم، ورجل من الأنصار، وأثمهم فقدموا خير ليلاً، فعمدنا إلى آبائهم نغلقها عليهم من خارج، قالت امرأة ابن أبي الحقيق: إن هذا لصوت عبد الله بن عتيك، قال: افتحي، ففتحت، فدخلت أنا، وعبد الله بن عتيك، فقال عبد الله: دوتك، ذهبت لأضربها بالسيف، فأذكر «نهي رسول الله ﷺ عن قتل النساء، والولدان»، فأكف عنها.

قال علي بن المديني: هذا عبد الله بن أنيس الأنصاري، وليس بالجهني، هذا عبد الله بن أنيس الأنصاري الذي روى عنه جابر بن عبد الله رضي الله عنه. [مجمع الزوائد ٢/ ٢٩٤ في المغازي والسير (١٠٣٣٥)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ١٣/ ١٣٤] رقم ٣٣٣٣، وفيه إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع، وهو ضعيف].

وقال ابن إسحاق: ... فخرجوا حتى إذا قدموا خير، أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً، فلم يدعوا بيتاً في الدار إلا أغلقوه على أهله، قال: وكان في علي (عليه السلام) جمعها علالي، وهي الغرفة المبنية فوق غرفة أخرى. (النهاية ٣/ ٢٩٥) [مشرية] له إليها عجلة (جذع النخلة ينقر في موضع منه ويجعل كالسلم فيصعد عليه إلى العلالي والغرف)، قال: فاستندوا فيها (علوا، أي سعدوا إليه)، حتى قاموا على بابها، فاستأذنوا عليه، فخرجت إليهم امرأته، فقالت: من أنتم؟ قالوا: ناس من العرب نلتبس الميرة، قالت: ذاكم صاجيكم، فأدخلوا عليه، قال: فلما دخلنا عليه، أغلقنا علينا وعليها الحجرة، نحوقاً أن تكون دونه محاولة (المحاولة: حركة تكون بينهم وبينه) نحول بيننا وبينه، قال: فصاحت امرأته فنهت بنا (رفعت صوتها تشهرا بنا. ويروي: فوهت)، وابتدرناه وهو على فراشه بأسيفنا، فوالله ما يدلنا عليه في سواد الليل إلا بياضه كأنه قطيعة (ضرب من الثياب البيض تصنع بمصر) ملقاة، قال: ولما صاحت بنا امرأته، جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه، ثم يذكر «نهي رسول الله ﷺ فيكف يده، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل، قال: فلما صرنا بأسيفنا نحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه، وهو يقول: قطني قطني: أي حسبي حسبي، قال: وخرجنا، وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سيء البصر، قال: فوقع من الدرجة فوثت (أصاب عظمها شيء ليس بكسر، وقيل: هو أن يصاب اللحم دون العظم) يده وثنا شديداً - ويقال: رجله، فيما قال ابن هشام -

وَحَمَلْنَاهُ حَتَّى نَأْتِيَ بِهِ مِنْهَا (مدخل الماء من خارج الحصن إلى داخله) مِنْ غَيْرِهِمْ، فَنَدَخُلُ فِيهِ، قَالَ: فَأَوْقَدُوا النَّيْرَانَ، وَاشْتَدُّوا فِي كُلِّ وَجْهِ يَطْلُبُونَنَا، [وَأَخْفَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَكَانَنَا]، قَالَ: حَتَّى إِذَا يَسُورُوا رَجَعُوا إِلَى صَاحِبِهِمْ، فَانْتَفَوْهُ وَهُوَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ، قَالَ: فَقُلْنَا: كَيْفَ لَنَا بِأَنْ نَعْلَمَ بِأَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ قَدْ مَاتَ؟ قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَّا: أَنَا أَذْهَبُ فَأَنْظُرُ لَكُمْ، فَأَنْطَلِقُ حَتَّى دَخَلُ فِي النَّاسِ، قَالَ: فَوَجَدْتُ امْرَأَتَهُ وَرِجَالَ يَهُودَ حَوْلَهُ وَفِي يَدِهَا الْمِصْبَاحُ تَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ، وَتُحَدِّثُهُمْ وَتَقُولُ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ ابْنِ عَتِيكٍ، ثُمَّ أَكْذَبْتُ نَفْسِي، وَقُلْتُ: أَتَى ابْنُ عَتِيكٍ بِهَذِهِ الْبِلَادِ؟ ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ تَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَتْ: فَاطَ (مات) وَإِلَهُ يَهُودَ، فَمَا سَمِعْتُ مِنْ كَلِمَةٍ كَانَتْ أَلَدَ إِلَى نَفْسِي مِنْهَا، قَالَ: ثُمَّ جَاءَنَا الْخَبَرُ، فَاحْتَمَلْنَا صَاحِبَنَا فَقَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْنَاهُ بِقَتْلِ عَدُوِّ اللَّهِ، [قَالَ: وَجَاوَرَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ قَالَ: أَفَلَحَتِ الْوُجُوهُ، فَقَالُوا: أَفْلَحَ وَجْهُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ،] وَاحْتَلَفْنَا عَنْدَهُ فِي قَتْلِهِ كُلُّنَا يَدَّعِيهِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَاتُوا أَسْيَافَكُمْ»، قَالَ: فَجِئْنَاهُ بِهَا، فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ لِسَيْفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ: «هَذَا قَتْلُهُ أَرَى فِيهِ أَثَرُ الطَّعَامِ». [السيرة النبوية لابن هشام ٢٧٤-٢٧٥].

وقال الواقدي: حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ بْنُ النُّعْمَانِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَطِيَّةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ حَتَّى أَتَيْنَا خَيْبَرَ.

قَالَ: وَقَدْ كَانَتْ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِيكٍ بِخَيْبَرَ يَهُودِيَّةً أَرْضَعَتْهُ، وَقَدْ بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَمْسَةَ نَعَرَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَسٍ، وَأَبُو قَتَادَةَ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ خُزَاعِيٍّ، وَمَسْعُودُ بْنُ سَنَانَ. قَالَ: فَانْتَهَيْنَا إِلَى خَيْبَرَ، وَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى أُمِّهِ فَأَعْلَمَهَا بِمَكَانِهِ، فَخَرَجَتْ إِلَيْنَا بِجِرَابٍ مَمْلُوءٍ تَمْرًا كَيْسًا وَخُبْرًا، فَأَكَلْنَا مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: يَا أُمُّهُ إِنَّا قَدْ أَمْسَيْنَا، بَيْتِنَا عِنْدَكَ فَأَدْخِلِينَا خَيْبَرَ.

فَقَالَتْ أُمُّهُ: كَيْفَ تَطِيقُ خَيْبَرَ وَفِيهَا أَرْبَعَةُ آلَافٍ مُقَاتِلٍ؟ وَمَنْ تُرِيدُ فِيهَا؟ قَالَ: أَبَا رَافِعٍ، فَقَالَتْ: لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ، قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَقْتَلُهُ أَوْ لَا أَقْتُلَنَّ دُونَهُ قَبْلَ ذَلِكَ.

قَالَتْ: فَأَدْخُلُوا عَلَيَّ لَيْلًا، فَدَخَلَ عَلَيْهَا فَلَمَّا نَامَ أَهْلُ خَيْبَرَ، وَقَدْ قَالَتْ هُمْ: أَدْخُلُوا فِي حِمَرٍ (أي جماعتهم) النَّاسِ، فَإِذَا هَدَأَتِ الرَّجُلُ فَأَكْمُنُوا، فَفَعَلُوا وَدَخَلُوا عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: إِنَّ الْيَهُودَ لَا تُغْلِقُ عَلَيْهَا أَبْوَابَهَا فَرَقًا أَنْ يَطْرُقَهَا صَنِيفٌ، فَيَصْبِحُ أَحَدُهُمْ بِالْفَنَاءِ وَلَمْ يُصَفْ، فَيَجِدُ الْبَابَ مَفْتُوحًا فَيَدْخُلُ فَيَتَعَشَّى.

فَلَمَّا هَدَأَتِ الرَّجُلُ قَالَتْ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَسْتَمْتَحُوا عَلَى أَبِي رَافِعٍ، فَقُولُوا: إِنَّا جِئْنَا لِأَبِي رَافِعٍ بِهَدِيَّةٍ، فَإِنَّهُمْ سَيَفْتَحُونَ لَكُمْ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، ثُمَّ خَرَجُوا لَا يَمُرُّونَ بِبَابٍ مِنْ بُيُوتِ خَيْبَرَ إِلَّا أَغْلَقُوهُ، حَتَّى أَغْلَقُوا بُيُوتَ الْقَرِيَّةِ كُلَّهَا، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى عَجَلَةَ (جذع النخلة ينقر في موضع منه ويعمل كالسلم فيصعد عليه إلى العلاي والغرف)، عِنْدَ قَصْرِ سَلَامٍ، قَالَ: فَصَعَدْنَا وَقَدِمْنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكٍ، لِأَنَّهُ كَانَ يَرْتُنُّ بِالْيَهُودِيَّةِ، ثُمَّ اسْتَمْتَحُوا عَلَى أَبِي رَافِعٍ، فَجَاءَتْ امْرَأَتُهُ فَقَالَتْ: مَا سَأَأْتُكَ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكٍ وَرَطَنُ بِالْيَهُودِيَّةِ: جِئْتُ أَبَا رَافِعٍ بِهَدِيَّةٍ، فَفَتَحَتْ لَهُ، فَلَمَّا رَأَتْ السَّلَاحَ أَرَادَتْ تَصِيحُ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُتَيْسٍ رضي الله عنه: وَارْزَدَمْنَا عَلَى الْبَابِ أَيَّنَا يَنْدُرُ إِلَيْهِ، فَأَرَادَتْ أَنْ تَصِيحَ، قَالَ: فَأَسْرَتْ إِلَيْهَا السَّيْفَ، قَالَ: وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ يَسْبِقَنِي أَصْحَابِي إِلَيْهِ، قَالَ: فَسَكَنْتُ سَاعَةً، قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ لَهَا: أَيْنَ أَبُو رَافِعٍ؟ وَلَا صَرَبْتُكَ بِالسَّيْفِ، فَقَالَتْ: هُوَ ذَاكَ فِي الْبَيْتِ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فَمَا عَرَفْنَاهُ إِلَّا بِيَاضِهِ كَأَنَّهُ قُطْنَةٌ مُلْقَاةٌ، فَعَلَوْنَاهُ بِأَسْيَافِنَا، فَصَاحَتْ أَمْرًا، فَهَمَّ بَعْضُنَا أَنْ يُخْرِجَ إِلَيْهَا، ثُمَّ ذَكَرْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَهَانَا عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ. قَالَ: فَلَمَّا انْتَهَيْنَا جَعَلَ سَمُكُ (سقف) الْبَيْتِ يَقْضِرُ عَلَيْنَا، وَجَعَلَتْ سَيُوفُنَا تَرْجِعُ.

قَالَ ابْنُ أُتَيْسٍ رضي الله عنه: وَكُنْتُ رَجُلًا أَعْشَى لَا أَبْصُرُ بِاللَّيْلِ إِلَّا بَصَرًا ضَعِيفًا، قَالَ: فَتَأَمَّلْتُهُ كَأَنَّهُ قَمَرٌ، قَالَ: فَاتَّكَيْتُ بِسَيْفِي عَلَى بَطْنِهِ حَتَّى سَمِعْتُ خَشَّةً (أي شقه) فِي الْفِرَاشِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ قُضِيَ.

قَالَ: وَجَعَلَ الْقَوْمُ يَبْصُرُونَهُ جَمِيعًا، ثُمَّ نَزَلْنَا وَنَسِيَ أَبُو قَتَادَةَ قَوْسَهُ، فَذَكَرَهَا بَعْدَ مَا نَزَلَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: دَعِ الْقَوْسَ، فَايْئِ، فَارْجِعْ فَأَخَذَ قَوْسَهُ، وَانْفَكَّت رِجْلُهُ، فَاحْتَمَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَصَاحَتْ أَمْرًا، فَصَاحِبُ أَهْلِ الدَّارِ بَعْدَ مَا قُتِلَ، فَلَمْ يَفْتَحْ أَهْلُ الْبُيُوتِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ لَيْلًا طَوِيلًا، وَاخْتَبَأَ الْقَوْمُ فِي بَعْضِ مَنَاهِرِ (جمع منهر، وهو خرق في الحصن نافذ يجري منه الماء) خَيْبَرٍ، وَأَقْبَلَتِ الْيَهُودُ، وَأَقْبَلَ الْحَارِثُ أَبُو زَيْنَبٍ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ أَمْرًا، فَقَالَتْ: خَرَجَ الْقَوْمُ الْآنَ، فَخَرَجَ الْحَارِثُ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ فِي آثَارِنَا، يَطْلُبُونَنَا بِالنَّيْرَانِ فِي شَعْلِ السَّعَفِ (الشعل: جمع شعلة، وهي قطعة الخشب تشعل فيها النار، والسعف: أغصان النخلة)، وَكُرْبَمَا وَطُؤُوا فِي النَّهْرِ، فَخَنُّ فِي بَطْنِهِ، وَهُمْ عَلَى ظَهْرِهِ، فَلَمَّا يَرُونَا، فَلَمَّا أَوْعَبُوا فِي الطَّلَبِ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا رَجَعَ إِلَى أَمْرَائِهِ، فَقَالُوا لَهَا: هَلْ تَعْرِفِينَ مِنْهُمْ أَحَدًا؟ قَالَتْ: سَمِعْتُ مِنْهُمْ كَلَامَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِيكَ، فَإِنْ كَانَ فِي بِلَادِنَا هَذِهِ فَهُوَ مَعَهُمْ، فَكُتِرُوا الطَّلَبَ الثَّانِيَةَ، وَقَالَ الْقَوْمُ فِيمَا بَيْنَهُمْ: لَوْ أَنَّ بَعْضَنَا أَتَاهُمْ فَفَطَرَ هَلْ مَاتَ الرَّجُلُ أَمْ لَا؟ فَخَرَجَ الْأَسْوَدُ بْنُ خَزَاعِيٍّ حَتَّى دَخَلَ مَعَ الْقَوْمِ، وَتَشَبَّهَ بِهِمْ، فَجَعَلَ فِي يَدِهِ شُعْلَةً كَشَعْلِهِمْ، حَتَّى كَرَّ الْقَوْمُ الثَّانِيَةَ إِلَى الْقَصْرِ، وَكَّرَ مَعَهُمْ وَجِدَّ الدَّارَ قَدْ شَجِنَتْ (أي ملئت)، قَالَ: فَأَقْبَلُوا جَمِيعًا يَنْظُرُونَ إِلَى أَبِي رَافِعٍ مَا فَعَلَ، قَالَ: فَأَقْبَلَتْ أَمْرًا مَعَهَا شُعْلَةٌ مِنْ نَارٍ، ثُمَّ أَحْنَتْ عَلَيْهِ تَنْظُرُ أَحْيًى أَمْ مَيَّتٌ هُوَ، فَقَالَتْ: فَاطُ وَإِلَهُ مُوسَى، قَالَ: ثُمَّ كَرِهْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَّا بِأَمْرِ بَيْنٍ، قَالَ: فَدَخَلَتِ الثَّانِيَةَ مَعَهُمْ، فَإِذَا الرَّجُلُ لَا يَتَحَرَّكُ مِنْهُ عِرْقٌ، قَالَ: فَخَرَجَتْ الْيَهُودُ فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ، قَالَ: وَأَخَذُوا فِي جِهَازِهِ يَدْفِنُونَهُ، قَالَ: وَخَرَجْتُ مَعَهُمْ، وَقَدْ أَبْطَأْتُ عَلَى أَصْحَابِي بَعْضَ الْإِبْطَاءِ، قَالَ: فَانْحَدَرْتُ عَلَيْهِمْ فِي النَّهْرِ فَخَبَّرْتُهُمْ، فَمَكَثْنَا فِي مَكَانِنَا يَوْمَيْنِ حَتَّى سَكَنَ عَنَّا الطَّلَبُ، ثُمَّ خَرَجْنَا مُقْبِلِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ، كُلُّنَا يَدْعِي قَتْلَهُ، فَقَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمُنْبَرِ، فَلَمَّا رَأَانَا قَالَ: «أَفَلَحَتِ الْوُجُوهُ»، فَقُلْنَا: أَفَلَحَ وَجْهُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَتُمُوهُ؟»، قُلْنَا: نَعَمْ، وَكُلُّنَا يَدْعِي قَتْلَهُ، قَالَ: «عَجِّلُوا عَلَيَّ بِأَسْيَافِكُمْ»، فَأَتَيْنَا بِأَسْيَافِنَا، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا قَتْلُهُ، هَذَا أَكْثَرُ الطَّعَامِ فِي سَيْفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُتَيْسٍ رضي الله عنه».

قَالَ: وَكَانَ ابْنُ أَبِي الْحَقِيقِ قَدْ أَجْلَبَ فِي غَطَفَانَ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ، وَجَعَلَ لَهُمُ الْجَعَلَ الْعَظِيمَ حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ.

فَحَدَّثَنِي أَيُّوبُ بْنُ النُّعْمَانِ قَالَ: حَدَّثَنِي خَارِجَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ [بْنِ أَنَسٍ] ﷺ، قَالَ: لَمَّا انْتَهَوْا إِلَى أَبِي رَافِعٍ تَسَاجَرُوا فِي قَتْلِهِ، قَالَ: فَاسْتَهْمُوا عَلَيْهِ، فَخَرَجَ سَهْمُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ، وَكَانَ رَجُلًا أَعَشَى، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: أَيُّنَ مَوْضِعُهُ؟ قَالُوا: تَرَى بَيَاضَهُ كَأَنَّهُ قَمَرٌ، قَالَ: قَدْ رَأَيْتُ.

قَالَ: وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَسٍ، وَقَامَ النَّفَرُ مَعَ السَّمَرَةِ يَمُرُّونَ أَنْ تَصِيحَ، قَدْ شَهَرُوا سُيُوفَهُمْ عَلَيْهَا، وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَسٍ، فَضَرَبَ بِالسَّيْفِ فَرَجَعَ السَّيْفُ عَلَيْهِ لِقَصْرِ السَّمَكِ، فَاتَّكَأَ عَلَيْهِ وَهُوَ مُمْتَلِئٌ حُمْرًا، حَتَّى سَمِعَ حَشَّ السَّيْفِ وَهُوَ فِي الْفِرَاشِ.

وَيُقَالُ: كَانَتْ السَّرِيَّةُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ سِتٍّ. [المغازي للواقدي ١/ ٣٩١-٣٩٥].

وروى البيهقي بسنده عن موسى بن عقبة، قال: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَتِيكٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَنَسٍ، وَمَسْعُودَ بْنَ سِنَانٍ مِنَ الْأَسْوَدِ، وَأَبَا قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رَبِيعٍ بْنِ بِلْدَمَةَ، مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، وَأَسْوَدَ بْنَ خُزَاعِيٍّ حَلِيفًا لَهُمْ، وَيُقَالُ: تَجَدَّدَ، فِي غَيْرِ هَذَا الْكِتَابِ، وَأَسْعَدَ بْنَ حُرَامٍ، وَهُوَ أَحَدُ الْبُرَكِ حَلِيفُ لَبْنِي سَوَادٍ، فَأَمَرَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَتِيكٍ، فَطَرَقُوا أَبَا رَافِعٍ بْنَ أَبِي الْحَقِيقِ الْيَهُودِيَّ بِحَيْرٍ، فَقَتَلُوهُ فِي بَيْتِهِ.

قال موسى بن عقبة: قال ابن شهاب: قال ابن كعب: فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمُنِيرِ، فَقَالَ: «أَفَلَا حَتَّ الْوُجُوهُ»، قَالُوا: أَفَلَحَ وَجْهُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ!، قَالَ: «أَقْتَلْتُمُوهُ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «نَاوُلُونِي السَّيْفَ»، فَسَلَّهَ، فَقَالَ: «أَجَلْ هَذَا طَعَامُهُ فِي ذِيَابِ السَّيْفِ». [دلائل النبوة للبيهقي ٤/ ٣٩].

شِعْرُ حَسَّانَ ﷺ فِي قَتْلِ ابْنِ الْأَشْرَفِ وَابْنِ أَبِي الْحَقِيقِ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ﷺ وَهُوَ يَذْكُرُ قَتْلَ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَقَتْلَ سَلَامِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ:

يَا ابْنَ الْحَقِيقِ وَأَنْتَ يَا ابْنَ الْأَشْرَفِ ^(١)	لِلَّهِ دُرٌّ عَصَابَةٌ لَا قِيَتَهُمْ
مَرَحًا كَأُسْدٍ فِي عَرِينٍ مُغْرِفٍ ^(٢)	يَسْرُونَ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ إِلَيْكُمْ
فَسَقَوْكُمْ حَقًّا بَيْضَ دُفِّ ^(٣)	حَتَّى أَتَوْكُمْ فِي حُلٍّ بِلَادِكُمْ
مُسْتَبْصِرِينَ لِنَصْرِ دِينِ نَبِيِّهِمْ	

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَوْلُهُ: «دُفِّ»، عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ. [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٧٦].

(١) العصابة: الجماعة.

(٢) البيض الرقاق: السيوف. مرحاً: نشاطاً. العرين: غابة الأسد. مغرف: ملتف الأغصان.

(٣) دفف: سريعة القتل.

العرض الأدبي للسرية [صور من جهاد الصحابة للخالدي رحمه الله ٦٧-٨٣ بتصرف يسير]:

تسابق الأوس والخزرج في الخير:

كان مقتل طاغوت اليهود كعب بن الأشرف بعد غزوة بدر، في مطلع السنة الثالثة من الهجرة، والمجموعة التي قتلته (أوسية) من الأوس.

ومعلوم أن الأنصار كانوا من قبيلتين هما: الأوس والخزرج، وكان بينهما تنافس وتسابق في العمل الصالح، والعبادة والخير، والجهاد في سبيل الله.

فإذا فعل الأوس خيراً غبطهم عليه الخزرج، وبحثوا عن خيرٍ مثله يعملونه، ويسابقونهم فيه، يتقربون بذلك إلى الله، وإذا فعل الخزرج خيراً غبطهم عليه الأوس، وبحثوا عن خيرٍ مثله يفعلونه!

فلما نجحت مجموعة محمد بن مسلمة الأوسية في قتل كعب بن الأشرف، غبطهم على ذلك إخوانهم الخزرج، وأرادوا أن يقوموا بعملٍ مماثل، يسابقون فيه الأوس، ويتقمون فيه من أعداء الله!

فكر الخزرج في الأمر، وبحثوا عن زعيمٍ من زعماء اليهود، مثل كعب بن الأشرف في غدره وخيائته وكيدته وتآمره.

ووجدوه.. إنه أبو رافع.. سلام بن أبي الحقيق، زعيم يهود خيبر.

زعماء اليهود الثلاثة:

كان (سلام بن أبي الحقيق) زعيم يهود خيبر، وإليه آلت زعامة اليهود بعد مقتل الزعيمين اليهوديين: كعب بن الأشرف، وحبي بن أخطب.

كانت الصلة وثيقة بين الزعماء اليهود الثلاثة، يلتقون فيما بينهم، ويتدارسون محاربة المسلمين والتآمر عليهم، فكانوا بذلك زعماء في الغدر والكيد والخيانة والأذى.

ذهب كعب بن الأشرف إلى قريش بعد غزوة بدر، يهيجهم ضد المسلمين؛ ولذلك أهدر رسول الله ﷺ دمه، ونفذت حكم الله فيه، مجموعة محمد بن مسلمة.

وبعد مقتل كعب بن الأشرف آلت زعامة اليهود إلى (حبي بن أخطب)، زعيم يهود بين النصير، وبعد ما قام يهود بني النصير بغدرهم ونقضهم العهد مع رسول الله ﷺ، أجلاهم رسول الله ﷺ عن المدينة، فخرجوا إلى خيبر وتيأوا، وكان هذا بعد غزوة أحد في السنة الثالثة.

وانتقل زعيمهم حبي بن أخطب إلى خيبر، وصار ينسق مع زعيم يهود خيبر (أبي رافع) كيفية التآمر على المسلمين.

وذهب حبي بن أخطب إلى قريش في مكة، ليهيجهم ضد المسلمين، ويشجعهم على محاربتهم، بينما ذهب أبو رافع إلى قبيلة (غطفان) العربية للغاية نفسها!

ونجحت جهود الزعيمين اليهوديين في حشد قریش و غطفان لحرب المسلمين، وكانت غزوة الأحزاب - أو الخندق - في السنة الخامسة.

وتمكن (حيي بن أخطب) من إقناع يهود بني قريظة، بنقض عهدهم مع رسول الله ﷺ، وغدرهم بالمسلمين، وانضمامهم إلى الأحزاب المشركة من قریش و غطفان.

ونصر الله المسلمين في غزوة الأحزاب، وردَّ الذين كفروا من المشركين واليهود بغيتهم، لم ينالوا خيرًا، وكفى الله المؤمنين القتال!

وكان حيي بن أخطب مع يهود بني قريظة لما حاصره رسول الله ﷺ، ولما استسلموا منهزمين، نزلوا على حكم سعد بن معاذ ۞، وهو قتل رجالهم، وسبي نسائهم، وتلُّك أموالهم وأراضيهم.

وقتل المسلمون جميع رجال بني قريظة المحاربين، وكان بين القتلى حيي بن أخطب زعيم يهود بني النضير، وكعب بن أسد زعيم يهود بني قريظة.

وبعد قتل الغادر حيي بن أخطب انتقلت زعامة اليهود إلى أبي رافع - سلام بن أبي الحقيق - في خيبر.

تأمر أبي رافع ضد المسلمين:

كان لسلام بن أبي الحقيق حصنٌ منيعٌ في خيبر، وكان تاجرًا من كبار تجار اليهود، كثير المال واسع الثراء، جمع بين الزعامة السياسية والاقتصادية لليهود، وبسبب نشاطه التجاري الواسع في المنطقة كان يُلقَّب بلقب (تاجر الحجاز).

واستغلَّ أبو رافع صلاته التجارية مع القبائل العربية في الحجاز لإيذاء رسول الله ﷺ، ومخاربة المسلمين، وكان مشهورًا بالغدر والخيانة، واللؤم والحقد! لم يتوقَّف عن هذه الجرائم اليهودية ضدَّ المسلمين، ولم يتعظ بما جرى لابن الأشرف وابن أخطب!

وبعدما تجمَّع اليهود عنده في خيبر، قادمين من المدينة، بعد إجلاء الرسول ﷺ لليهود بني قينقاع وبني النضير - ضاعف أبو رافع من نشاطه المعادي ضدَّ المسلمين، وزياراته لزعماء المشركين واتصالاته بهم للتأمر على المسلمين!

وبسبب هذه الجرائم استحقَّ أبو رافع القتل، كما استحقَّ الشيطانان من قبله: كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب.

ابن عتيك يشكل مجموعة مجاهدة لقتله:

اجتمع نفرٌ من الخزرج، الذين كانوا يبحثون عن وسيلةٍ صالحة، يسابقون فيها إخوانهم الأوس، الذين قتلوا كعب بن الأشرف.

تدارسوا الأمر، وفكروا في الأعداء اليهود، فوجدوا أنَّ أبا رافع هو العدو الأول للمسلمين الآن؛ لذلك لابدَّ أن يُقتل لجرائمه.

وحتى يكون تصرّفهم صحيحًا، وفعلهم صوابًا، أتوا رسول الله ﷺ يسألونه عن صواب فعلهم، فإن كان صوابًا أذن لهم بقتل أبي رافع.

عرض عبد الله بن عتيك ﷺ الأمر على رسول الله ﷺ، وذكر له عداوة زعيم يهود خيبر (أبي رافع) للإسلام والمسلمين، فأذن رسول الله ﷺ بقتله، بسبب جرائمه، وكلّف عبد الله بن عتيك ﷺ بذلك، وأشار عليه باختيار مجموعة من إخوانه لهذه الغاية.

فرح عبد الله بن عتيك ﷺ بتكليف رسول الله ﷺ له بقتل أبي رافع، واعتبر هذا فضلًا من الله عليه، وجهادًا مبرورًا صالحًا يقوم به، ويتقرب به إلى الله.

(شكّل) ابن عتيك مجموعته المجاهدة، أربعة من المجاهدين، وهو خامسهم، وكلّهم خَزَرَجِيُّونَ، في مقابل مجموعة ابن مسلمة الأوسية، التي قتلت ابن الأشرف!

والأربعة الذين مع ابن عتيك هم: عبد الله بن أنيس، ومسعود بن سنان، والحارث بن ربعي - أبو قتادة - والأسود بن خزاعي.

وأمر رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك ﷺ على المجموعة، وكان اختياره أميرًا عليها في مكانه، ومعلوم أن رسول الله ﷺ كان خبيرًا في الرجال، حكيماً في اختيار الأمراء، يضع الرَّجُلَ المناسب في المكان المناسب!

لقد توفّرت في عبد الله بن عتيك ﷺ صفتان، أهْلَتاه ليكون أميرًا لهذه المجموعة المجاهدة: الأولى: أنه رضع وهو صغير من امرأة يهودية، كانت في المدينة، وهذه اليهودية موجودة في خيبر الآن، وبما أنها أُمُّه في الرضاع، فلا بدّ أن يستفيد منها في مهمته!

الثانية: أنه كان يتقن اللغة العبرية التي يتكلم بها اليهود إتقانًا تامًّا! وهذا ضروري لتنفيذ هذه المهمة الجهادية، فعندما (يرطنون) بالعبرية يفهم عليهم، وإذا اضطرَّ إلى استخدامها استخدمها كأنه واحدٌ منهم.

المجموعة المجاهدة في خيبر:

في منتصف شهر ذي الحجة من السنة الخامسة للهجرة توجّه المجاهدون الخمسة إلى خيبر؛ لتنفيذ تلك المهمة الجهادية، وودّعهم رسول الله ﷺ، ودعا لهم بالتوفيق.

ووصلوا إلى مشارف خيبر، وكانت خيبر قلعةً يهوديةً منيعة، فيها الكثير من الحصون والقلاع، ولها سورٌ يحيط بها، عليه خُرَّاسٌ من اليهود!

توقّف المجاهدون عند مشارف خيبر، وأرسل عبد الله بن عتيك ﷺ إلى أمه بالرضاع قائلاً: إنني على مشارف خيبر، وأريدُ منك أن تأتي إلي!

وهذا تصرف ذكي من ابن عتيك ﷺ، فلو دخل المجاهدون الخمسة جهازًا نهاريًا فسيلفتون أنظار الحراس اليهود، وبذلك تفشل المهمة الجهادية!

حملت المرأة اليهودية كيسًا من تمر وخبز، وخرجت لملاقاة ابنها بالرضاع (عبد الله) ولعلها كانت في شوقٍ شديدٍ إليه!

قابلت ابن عتيك وإخوانه، وقدمت لهم الكيس، فأكلوا من التمر والخبز. كَلَّمَهَا ابن عتيك، وأخبرها بمهمته، وصارحها بذلك؛ لأنه كان آمنًا من جهتها، ويبدو أنها كانت غير راضية عن ممارسات أبي رافع زعيم خيبر؛ ولذلك لم تُمانع في قتله على يد ابنها (عبد الله)!

ولكنَّ الأمر خطر، والحراسات على أبي رافع مشددة؛ ولذلك خافت على ابنها أن يُقتل، وحاولت أن تُثنيه عن ذلك.

قالت له: يا بني: كيف تدخل خيبر وفيها حراسات مشددة؟ وكيف تستطيع قتل أبي رافع، وحوله أربعة آلاف مقاتل؟ إنني أحشى عليك يا بُني، وأخاف أن يقتلوك، فاصرف النظر عن ذلك، وَعُدْ سالمًا! لكنَّ ابن عتيك أخبرها عن تصميمه على ذلك، وقال لها: والله لأُقتلَنَّه أو لأُقتلَنَّ دونه، فَمَا أَنَا وإِمَا هُو! ثم قال لها: كُلُّ ما نريدُه منك هو أن تعلمي على إدخالنا داخل السور، بحيث لا يلتفت الحراسُ لنا!

تعاونت معه في ذلك، ورسمت خطتها لإدخالهم خيبر، انتظروا إلى أن حلَّ الظلام، عند ذلك دخلت من باب السور، ودخل معها عبد الله بن عتيك وإخوانه، ولم يثيروا انتباه الحراس اليهود، ويدوا أنَّ المرأة اليهودية كلمتهم بالعبرية، وأنَّ ابن عتيك (رَطْن) لهم بالعبرية أيضًا، فاعتبروا الجميع يهودًا، وأدخلوهم من باب السور!

وهكذا نجحت الخطوة الأولى من خطة ابن عتيك الحكيمة، فها هم الآن داخل المدينة الحصينة!

توجَّهوا إلى بيت المرأة اليهودية، وأقاموا عندها فترة من الزمن!

الخطةُ المحكمةُ لقتل أبي رافع:

انتقل ابن عتيك إلى تنفيذ الخطوة الثانية من خطته، وهي الوصول إلى قصر (سلام بن أبي الحقيق). ورغم أنَّ قصره كان وسط خيبر، داخل سورها الخارجي إلا أنه كان حصنًا حصينًا أيضًا!

كان الحصن مُحاطًا بسور، له بابٌ منيع، وعلى الباب حُرَّاس، مكلفون بإغلاقه عند المساء، وكان مكونًا من طابقين: الطابق الأول يجلس فيه حُرَّاسه وخدمه، والطابق الثاني له هو وزوجته، وبجانب القصر مكانٌ خاصٌ للدواب!

قام ابن عتيك وإخوانه باستطلاع دقيق للقصر، من قاعدتهم الآمنة في بيت أمِّه من الرضاع! عرفوا أنَّ للقصر بوابًا، وأنه مكلف بإغلاق الباب عند المساء، وأنه يعلِّق مفتاح الباب في (طاقة) عند الباب، وأنَّ رجالًا من زعماء خيبر يجلسون مع أبي رافع في الطابق الثاني، ويسهرون معه إلى قريب منتصف الليل، ثم يعودون إلى بيوتهم.

وضع ابن عتيك وإخوانه الخطة المحكمة لتنفيذ ما عزموا عليه، وكُلِّفُوا به. كانت الخطة تقوم على أن يتولَّى عبد الله بن عتيك وعبد الله بن أنيس مهمة قتل أبي رافع، ويقوم إخوانهم المجاهدون الثلاثة بمغادرة القاعدة - بيت اليهودية - والخروج من سور المدينة الخارجي قبيل التنفيذ، وانتظار ابن عتيك وابن أنيس على مشارف خيبر، وبعدما يفرغان من مهمتهما يلحقان بهم!

ابن عتيك وابن أنيس داخل قصر أبي رافع:

خرج المجاهدون الثلاثة من خيبر في النهار، وكَمُتُوا في مكانٍ خاص. وقبيل غروب شمس ذلك اليوم توجَّه ابن عتيك وابن أنيس نحو قصر أبي رافع، وكُلِّف ابن عتيك بالحديث مع الحراس اليهود؛ لأنه يتقن التكلم بالعبرية! وسهَّل الله لهما الأمر، ورَتَّبَ سبحانه الأحداث بحكمته وتوفيقه.

فما إن وصلا باب السور مع الغروب، حتى وجدا رجال القصر متشرِّين خارج السور، يبحثون عن (حمارٍ) مفقودٍ من حمير أبي رافع!

أوعز ابن عتيك لابن أنيس بالسير مع رجال القصر وحرَّاسه، واشترَكَ معهم في البحث عن الحمار المفقود! ليُوهمهم أنه واحدٌ منهم؛ وليدخل القصر معهم عندما يعودون، بدون أن يُلْقَت الأنظار إليه! وطلب منه أن يذهب إلى مكان ربط الدوابِّ بجانب القصر، وأن ينتظره هناك ريثما يلحق به! وجلس ابن عتيك - المتكلم بالعبرية - عند باب سور القصر، بانتظار عودة الحراس.

عاد الرجال مع الغروب، ومعهم الحمار المفقود، ودخلوا من باب السور ودخل معهم عبد الله ابن أنيس، ولما وضعوا الحمار عند الدواب، تخلَّف ابن أنيس عنهم، دون أن يتبهاوا له! أمَّا ابن عتيك فقد كان بجانب باب السور من الخارج، ولاحظ دخول رجال القصر، فتقنَّع بثوبه، وغطَّى رأسه به، وجلس القرفصاء، كأنها يقضي حاجته!

وكان البواب اليهوديُّ يريد أن يُغلق الباب، فرأى ابن عتيك بقرب الباب، فناداه: يا هذا! إن كنت تريد أن تدخل القصر فادخل، فإني أريد أن أغلق باب السور! وقال له هذا، وهو لا يشك في أنه يهوديُّ من رجال القصر!

ودخل ابن عتيك، وأغلق البواب اليهودي باب السور، ووضع المفاتيح في المكان المعروف، وتوجَّه ابن عتيك نحو أخيه ابن أنيس، في بيت الدوابِّ!

وهكذا سارت الأمور كما رَتَّبها ابن عتيك ﷺ، بتوفيق الله الحكيم، ولم تبق إلا الخطوة التنفيذية!

المجاهدان يصعدان لقتل أبي رافع:

انتظر ابن عتيك وابن أنيس في مكمنهما فترة؛ لأنَّ مجموعة من الرجال اليهود كانوا يسمرون عند أبي رافع، وكان المجاهدان يُراقبانهم، وينتظران مغادرتهم وعودتهم إلى بيوتهم.

وعند منتصف الليل انتهى السَّمر، وغادر السامرون القصر، وكانت ليلةً قمرًا؛ لأنها كانت من ليالي العشر الأوسط من ذي الحجة!

وهذا المكان، فالخُراس أووا إلى النوم، وأبو رافع في فراشه مع امرأته، ولم يبق أحدٌ مستيقظًا إلا المجاهدان ابن عتيك وابن أنيس.

خرج المجاهدان من مكانهما، يحملان سلاحهما، وتوجَّها نحو قصر أبي رافع، ومدَّ ابن عتيك يده إلى المفاتيح في الطاقية، وفتح باب القصر، ودخل مع ابن أنيس داخله، وفتح أبوابه الأخرى! وكان كلُّهما فتح بابًا ودخل، يغلقه من الداخل بالمفتاح؛ وذلك ليسهل عليهما قتل أبي رافع، بحيث إذا شعر بها الحرس أثناء العملية، يعجزون عن الصعود إليهما، لأنَّ الأبواب مغلقة من الداخل! صعد المجاهدان إلى الطابق الثاني، حيث ينام أبو رافع! فأحست بهما امرأته، بينما كان هو يغطُّ في نوم عميق! فقامت من فراشها، وخرجت من الغرفة تستطلع الخبر!

طلب ابن عتيك من ابن أنيس التعامل معها، وتوجَّه هو نحو أبي رافع في سريره لقتله! شاهدت المرأة اليهودية ابن أنيس، فخافت خوفًا شديدًا، ورفع سيفه عليها ليقتلها، لكنه أعاد السيف ولم يضر بها به!

لماذا لم يقتلها بالسيف؟

لقد تذكَّر وصية رسول الله ﷺ لهم قبل توجُّههم إلى خيرٍ لتنفيذ العملية الجهادية، لقد أوصاهم قائلاً: لا تقتلوا طفلًا ولا امرأة!

وهذا تأكيدٌ من رسول الله ﷺ على أخلاق الجهاد السامية، وآدابه العالية، فهؤلاء المجاهدون متوجَّهون إلى قتل أبي رافع، بسبب غدره وخيانتته وعدوانه، أمَّا الأطفال غير المقاتلين، والنساء غير المقاتلات، فلا داعي لقتلهم، وإن كانوا كفارًا!

تذكَّر عبد الله بن أنيس ۞ وصية رسول الله ﷺ، فلم يهو بالسيف على رأس المرأة اليهودية! واكتفى بحبسها واحتجازها داخل الغرفة، ومنعها من الصراخ أو الاستنجاد! فوقفت بجانب الغرفة مرعوبةً فرعة، ووقف ابن أنيس أمامها يحرسها!

تفاصيل قتل أبي رافع:

أمَّا عبد الله بن عتيك ۞ فقد تابع سيره، ودخل غرفة نوم أبي رافع، وكانت الغرفة مظلمة. نظر ابن عتيك وسط الغرفة المظلمة، فرأى أبا رافع نائمًا على سريره، وكان أبيض اللون، وبياضه الناصع مشاهدٌ وسط ظلام الغرفة.

ها هو عبد الله بن عتيك أمام خصمه! وها هي ساعة تنفيذ حكم الله فيه قد حانت! وإنَّ الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته!

لقد كان مسلسل جرائمه وخياناته طويلاً، وكان ملفٌ غدره وتآمره على المسلمين ضخماً، وهما هي ساعة الجزاء والعقاب قد حلت!

أراد ابن عتيك أن يوقظ أبا رافع النائم من نومه؛ لأنه رأى من غير المناسب قتله أثناء نومه، ولعلّه أراد أن يريه الموت قبل إزهاق روحه!

وقف ابن عتيك وسط الغرفة، ونادى بالعبرية التي يتقنها جيداً: أبا رافع!

سمع أبو رافع الصوت، فاستيقظ وفتح عينيه، وقال: من هذا؟

أهوى عليه ابن عتيك بالسيف، وضربه ضربةً واحدة جرحته، لكنها لم تقض عليه ولم تزهق روحه! صاح أبو رافع صيحةً عظيمةً، شقّت سكون الليل، وسمعاها اليهود في منازلهم حول القصر، فهبوا من نومهم، وخرجوا من بيوتهم ليُنجدوه!

توقّف ابن عتيك قليلاً وسط الغرفة المظلمة، وأبو رافع لا يراه، وأراد أن يوجّه له ضربة أخرى.

وتصرّف ابن عتيك بحكمة، حيث أوهم أبا رافع أنه يهودي، سمع صرخته واستغاثته، فجاء لنجده!

قال له بالعبرية: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ ما الذي جرى لك؟

وكان أبو رافع على سريره يتزف دمه، وظنّ أنه جاءه الغوث، فردّ عليه قائلاً: الويل لك، في البيت رجلٌ غريب، ضربني بسيفه، فابحث عنه واقتله!

عند ذلك أهوى عليه بالسيف، فضربه ضربةً أخرى، أشدّ وأقوى من الضربة الأولى!

فصاح أبو رافع صيحةً أعلى وأشدّ من الأولى.

وفي هذه اللحظة ترك عبد الله بن أنيس المرأة التي كان يحتجزها، وأراد أن ينال شرف الاشتراك في قتل عدو الله..

هجم ابن أنيس على أبي رافع، الذي كان يتخبّط بدمائه على فراشه، ووضع سيفه في بطن عدو الله، واتكأ عليه بقوة، وجذبه إليه جذباً قوياً، فقطع لحمه ومعدته وأمعاءه، وأوصله إلى عانيته.

ذهبت امرأة أبي رافع المذعورة لإحضار المصباح، وتوافد رجال اليهود من المنازل المجاورة لإنقاذ زعيمهم، وإلقاء القبض على المعتدين؟

وأوعز ابن عتيك لابن أنيس بمغادرة القصر فوراً قبل وصول النجدة، ونزلا درج القصر مسرعين.

أما ابن أنيس فقد اجتاز الدرج كلّهُ بأمان وسلام.

وأما ابن عتيك فقد أصيب بحادث، فلما كان على الدرجة قبل الأخيرة، ظنّ أنها الأخيرة، وأن المسافة إلى الأرض قريبة، فنقل خطوته، لكنه أخطأ تقدير المسافة، فسقط على الأرض، وانكسرت رجله!

تناول عمامته فوراً، وربط بها رجله، وتجلّد على آلام الكسر، واستنجد بأخيه ابن أنيس، فحمله، وخرج به بعيداً عن القصر.

نجاح العملية وعودة ابن أنيس لقوسه:

تابع المجاهدان سيرهما في خير، ليلتحقا بالمجموعة خارجها، وعلمت خير بمصرع زعيمها أبي رافع، فجاء اليهود من مختلف المنازل إلى قصره، وانطلق الرجال في طرق المدينة يبحثون عن القتلة! وأوقدت المشاعل والمصابيح، وتحول ليل خير في تلك الليلة إلى نهار!

ووصل المجاهدان إلى المكان الذي ينتظرهم فيه إخوانهم خارج السور، وكان مكاناً أميناً، بجانب عين ماء كأنها نهر! وكان ابن عتيك يعاني آلام كسر رجله المبرحة!

وهنا تذكر عبد الله بن أنيس شيئاً! لما صعد الدرج مع ابن عتيك إلى الطابق الثاني لقتل أبي رافع، وضع قوسه تحت الدرج، ولما نزلوا مسرعين بعد مصرع أبي رافع نسي أن يتناول قوسه من تحت الدرج! والآن تذكرها!

كيف يُبقي قوسه لليهود؟ إنها سلاحه، فكيف يُمكن أعداءه من سلاحه؟ أراد أن يعود إلى القصر لإحضار قوسه من تحت الدرج!

كلم إخوانه في ذلك، وطلب من أميره ابن عتيك أن يأذن له بالعودة إلى القصر لإحضار قوسه! تعجب إخوانه من جرأته وشجاعته وإقدامه وقوة قلبه، لكنهم خافوا عليه، فاليهود الآن مستنفرون يبحثون عن القتلة.

قالوا له: كيف تغامر وتخطر بحياتك؟ اليهود الآن متبهون مستنفرون، وزعيمهم قد قُتل، وهم يملؤون القصر وممراته، وإذا عدت إلى القصر فقد يكشفونك وسيقتلونك! فلا تذهب، ودع القوس! ولكنه ردَّ عليهم قائلاً: كيف أتركُ لهم قوسي وهي سلاحي؟ لن أعطيهم سلاحي، ولن أدعهم يستفيدون منه!

واستأذن من الأمير بالعودة لإحضار القوس، فأذن له!

عاد عبد الله بن أنيس إلى القصر، ودخل بين اليهود المتشرين حول القصر وداخله، وتصرف كأنه واحدٌ منهم، وتمتّع بأعصابٍ حديدية، ونفسٍ قوية، وشجاعةٍ نادرة، ودخل القصر، وصعد الدرج، وتوجّه نحو المكان الذي وضع فيه القوس، وأخذ قوسه، وخرج من بين اليهود سالماً، وعاد إلى إخوانه وقوسه معه، دون أن يتبّه له أحدٌ من اليهود!

وانتشر اليهود يبحثون عن المجاهدين خارج السور، ومعهم المشاعل المضئية، يتحركون بها وسط الظلام الدامس! ووصلوا إلى النهر الصغير، عين الماء الغزيرة التي يكمن عندها المجاهدون.

وقفوا بمشاعلهم يبحثون ويُفتشون، ولكنَّ الله أعمى أبصارهم عن عباده المجاهدين، فلم يشاهدوهم، مع أنهم كانوا قريبين جداً منهم!

رغبة المجاهدين في التأكد من قتل أبي رافع:

تدارس المجاهدون في مكنهم الأمر، تلقى أبو رافع ثلاث ضربات شديدة، ضربتين من سيف ابن عتيك، وضربة من سيف ابن أنيس، ولكنهم لم يعرفوا هل مات أم لا! وهم سيذهبون إلى رسول الله ﷺ، ليقدموا له تقريراً عن عملياتهم الجهادية التي كلفهم بها، وهم لا يستطيعون أن يقولوا: لقد قتلنا أبا رافع، إلا إذا تأكدوا من موته!

ثم إنهم يتسابقون مع إخوانهم الأوس في العمليات الجهادية، ونجحت مجموعة ابن مسلمة في قتل ابن الأشرف، فمن غير اللائق بهم أن يُصيبوا أبا رافع بالجراح فقط!

إذن لا بد أن يتأكدوا من موت أبي رافع.

لكن ماذا يفعلون؟ وكيف يُحاطرون بأنفسهم ويعودون إلى القصر؟ واليهود مستنفرون في خيبر كلها، وقصره ممتلئ باليهود، فكيف يصلون إليه؟

قرر المجاهدون أن يذهب واحدٌ منهم إلى القصر، وأن يدخل وسط اليهود، وأن يتأكد من موت أبي رافع!

إنها نفوس كبار، نفوسٌ من نشأت على الجهاد، ملأ الإيمان قلوب أصحابها، فلم تعرف الخوف، ويقتحم أصحابها الأهوال والأخطار بجرأة وشجاعة، يتقربون بذلك إلى الله!

عودة ابن خزاعي ۞ للتأكد من مقتله:

وقع الاختيار على الأسود بن خزاعي ۞، واستعدَّ الأسود للقيام بالمهمة الصعبة، فليس سهلاً على رجل واحد أن يخترق رجال الأعداء، وأن يسير وحيداً وسط الآلاف منهم!

لكنها قوة الإيمان بالله، وعظمة اليقين بالله، وإحسان التوكل على الله!

خرج الأسود من القاعدة، وتوجَّه نحو خيبر، وحمل مشعلاً مُضيئاً، كما يحمل اليهود، وسار في طرقات خيبر بمشعله كما يسير اليهود، وأظهر اهتمامه بالأمر وحرصه على البحث عن قتلة أبي رافع كما يفعل اليهود، ولا تَسَلْ عن عظمة شجاعته، ورباطة جأش، وهذوء أعصابه، وقوة إيمانه!

إنه الإيمان العميق، الذي يصنع هذه المواقف، ويدفع صاحبه إلى هذه القمم!

تابع ابن خزاعي ۞ سيره نحو قصر أبي رافع، فوجده ممتلئاً باليهود ومعهم مشاعلهم، ودخل بينهم ومعه مشعله!

وصعد للطابق الثاني، فرأى مجموعة من اليهود، فدخل بينهم، ورأى امرأة أبي رافع تحمل مشعلاً، وتقدم نحو زوجها لتنظر إليه، وتعرف أحي هو أم ميت!

نظرت إلى زوجها، وفحصته، وابن خزاعي ينظر إليها، ورفع يده إلى رافع، وتركها، فسقطت، وحسَّته فلم تجد به عرقاً ينبض!

فقال للواقفين حولها: لقد (فاظ) وإله موسى! لقد مات!
قال ابن خزاعي: والله ما سمعت كلمة أُلذَّ إلى نفسي من هذه الكلمة!
أي أن ابن خزاعي فرح فرحاً شديداً؛ لأنَّ الله أعان مجموعته المجاهدة على قتل زعيم التآمر والخيانة.
ولما تأكد من موت أبي رافع (انسَلَّ) من وسط اليهود المرتبكين، وذهب إلى إخوانه لينزفَ لهم البشري!
فكبروا، وشكروا الله على هذه النعمة!

ولما طلع الفجر أذاع اليهود النبأ المفجع، فقال ناعيههم: أنعى لكم تاجر الحجاز، وزعيم خيبر، سلام
بن أبي الحقيق، حيث قتله الليلة رجالٌ من أصحاب محمد!

واستيقظ يهود خيبر في الصباح على مقتل زعيمهم، فسيطر عليهم الخوف والرعب.

وملأ الفرع قلوبهم، وبذلك (أرعبت) هذه المجموعة الخزرجية المجاهدة أعداء الله!

عودة المجاهدين سالمين إلى المدينة:

بقي المجاهدون الخمسة في قاعدتهم عند عين الماء يومين، بسبب استمرار اليهود في تفتيش المنطقة،
ولما هُدد الطلب، وخفَّ التفتيش، غادروا القاعدة، وعادوا إلى المدينة فائزين سالمين موفقين، وحملوا
أميرهم ابن عتيك حملاً بسبب كسر رجله!

دخل المجاهدون المسجد النبوي، وكان رسول الله ﷺ على المنبر يكلم المسلمين.

فلما رآهم ﷺ بشَّرهم بالفوز والفلاح، وقال لهم: **أفلحت الوجوه!**

وكم كان سرورهم عظيماً بهذه البشري من رسول الله ﷺ، فها هم ينالون منه شهادة بالفوز والفلاح
والنجاح، وهذه البشري العظيمة أنستهم كلَّ ما أصابهم في عملياتهم الجهادية من تعبٍ وجهدٍ وآلامٍ،
واحتسبوا كلَّ ذلك عند الله!

وردُّوا على تحية رسول الله ﷺ بمثلها، فقالوا له: **وأفلح وجهك يا رسول الله!**

فقال لهم: هل قتلتم عدوَّ الله.

قال: نعم، والحمد لله!

ثناء الرسول ﷺ على المجاهدين وشعرُ حسان ﷺ في ذلك:

نظر رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن عتيك فوجد رجله معصوبة، ولما سأله أخبره بخبر كسرها لما هبط
درج القصر!

فمسح ﷺ عليها بيده الشريفة المباركة، ودعا الله له، فعافاه الله، وقام يمشي سليماً، كأن لم يكن برجله
كسر!

وسألهم رسول الله ﷺ: مَنْ قتل ابن أبي الحقيق؟

فقال كلُّ من عبد الله بن عتيك وعبد الله بن أنيس رضي الله عنهما: أنا قتلته يا رسول الله!

فقال رسول الله ﷺ: لِيُرْنِي كُلُّ مِنْكُمَا سَيْفَهُ!

فرأى ﷺ آثار الطعن في سيف ابن عتيك، ورأى آثار الطعن من معدة أبي رافع على سيف ابن أنيس!

فقال ﷺ: كلاكما قتله!

وهكذا قضت مجموعة ابن عتيك الخزرجية المجاهدة على عدوِّ الله الغادر سلام بن أبي الحقيق، وبذلك أُرهِبَت اليهود في خيبر، ليتوقَّفُوا عن الغدر والخيانة والتآمر على المسلمين.

وكانت هذه المجموعة تُطَبِّقُ عملياً قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَغْلُمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وحلَّدَ شاعر رسول الله ﷺ، حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رضي الله عنه، العمليتين الجهاديتين، العظيمتين: قَتْلُ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ على يد مجموعة ابن مسلمة الأوسية، وقَتْلُ سَلَامِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ على يد مجموعة ابن عتيك الخزرجية كما سبق بيانه. ا.هـ.

مصادر ومراجع للدراسة:

أ - كتب السنة: المصنف لعبد الرزاق (٢١١هـ) ٥/٤٠٧-٤١٠، جامع الأصول لابن الأثير (٦٠٦هـ) ٨/٢٢٨-٢٣٤، مجمع الزوائد للهيتمي (٨٠٧هـ) ٦/٢٩٢، المطالب العالية لابن حجر (٨٥٢هـ) ١٧/٤٣٧، فتح الباري لابن حجر (٨٥٢هـ) ٦/١٧٩-١٨٠، ٧/٣٩٥-٤٠٠، الأساس في السنة لحوى (١٤٠٩هـ) ٢/٧٠٥-٧٠٨.

ب - كتب السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي: مرويات الزهري (١٢٤هـ) في المغازي للعواجي ١/٤٠٢-٤٠٨، السيرة النبوية لابن إسحاق (١٥٢هـ) بهذيب ابن هشام (٢١٨هـ) ٢/٢٧٣-٢٧٦، المغازي للواقدي (٢٠٧هـ) ١/٣٩١-٣٩٥، الطبقات لابن سعد (٢٣٠هـ) ٢/٨٧-٨٨، تاريخ الطبري (٣١٠هـ) ٢/٤٩٣-٤٩٩، دلائل النبوة للبيهقي (٤٥٨هـ) ٤/٣٣-٣٩، الاكتفاء للكلاعي (٦٣٤هـ) ٢/١٩٨-٢٠٠، تاريخ الإسلام للذهبي (٧٤٨هـ) ١/٣٤١-٣٤٥، زاد المعاد لابن القيم (٧٥١هـ) ٣/٢٧٥، البداية والنهاية لابن كثير (٧٧٤هـ) ٦/١٢٧-١٣٥، إمتاع الأسماع للمقريزي (٨٤٥هـ) ١/١٩٥-١٩٦، سبل الهدى والرشاد للصالحي (٩٤٢هـ) ٦/١٦٢.

ج - كتب السيرة الحديثة: صحيح السيرة النبوية للعلي ٢٩٣، السيرة النبوية لرزق الله ٤٦٥، السيرة النبوية للصلاحي ٢/٣٢٩-٣٣٣.

د - كتب الغزوات والسرايا: صالح الحديبية لباشميل ٧٥-٩٥، السرايا الحربية في العهد النبوي لطنطاوي ٩٨-١٠٣، الصراع مع اليهود لأبي فارس ١/١٨٥-١٩٦، السرايا والبعوث حول المدينة ومكة لبريك ١٧١-١٧٩، فقه السرايا للعيساوي ١١٤ + ١٣٠، صور من جهاد الصحابة رضي الله عنهم للخالدي ٦٧-٨٤، مرويات السرايا والبعوث النبوية للقرشي ١٢٥-١٣٦.

صحراء النفوذ الكبرى

البحر المتوسط
القلمزم
البصرة
مكة
المنامة
القطيف
الدمشق
البلقاء
مؤتة
البتراء
أيلة
ذات أطلاق
تبوك
حسمى
مويلج
ضبا
الوجه
النفذة
المدينة المنورة
إضم
وذان
العيص
شبه القري
رايح
كديد
عسفان
بطن نعل
جدة
الشعبية
الطائف
الرجيع
المدينة المنورة
ذو حطب
خيبر
الغابة
هذالك وادي القرى
غمر مزوق
أسد طي
تميم
الميفعة (قطن) فهد
خضره
الطرف
بطن نخل
ذو القصبة
بئر معونة
بنو سليم
العيص
ذات عرق
عضل
والقارة
هوازن
تربة
بيشة
نجران
همدان
صعدة
صنعاء
اليمن

**سرية
عبد الله بن عتيك
(خير)
رمضان ٦ هـ**

أطلس السيرة لأبي خليل ص ١٥٤.
وينظر خرائط سرية محمد بن مسلمة عليه السلام إلى نجد.